مشيخــة الغــزاة بالأنـدلــس وأثرها في الجهاد والسياسة

٦٦١-٧٦٧هـ /١٢٦٢-١٣٦٥م

د. عطا على محمد ريه

جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية

مقدمة

حظيت عناصر الجيش الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس باهتمام وعناية الباحثين، حيث تناولوا بالأبحاث والدراسات المختلفة عناصر الجيش النظامية فيها، كجيوش الدويلات المختلفة، فتناولوا تنظيمها سواء البرية منها أو البحرية، وأهم القادة الذين أبلوا بلاء كبيراً في رد الغزو النصراني الأسباني،إلَا أن عنصراً مهماً من تلك العناصر وهو شيوخ الغزاة،المجاهدون في سبيل نصرة الإسلام ورفع كلمته، لم ينالوا نصيبهم من ذلك الاهتمام باستثناء ما أشار إليه بعض الباحثين إبان حديثهم عن غرناطة، وما جرى لها على يد نصارى الأندلس.

ويهدف هذا البحث إلي إلقاء بعض الضوء على هذا الموضوع، وإبراز الدور المهم الذي اضطلع به هؤلاء الشيوخ المجاهدون خلال هذه الفترة الحاسمة والحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية في الأندلس. وتوضح هذه الدراسة الدور الجهادي في سبيل الله، إيماناً منهم بأن الجهاد فريضة على كل مسلم، لقوله تعالى في كتابه العزيز ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.[١]

وهؤلاء الشيوخ ومن معهم من فرق متطوعة هم مجاهدون في سبيل الله يتطوعون للجهاد، [٢] إلى جانب الجيش النظامي إيماناً بفريضة الدفاع عن حوزة الإسلام والمسلمين،[٣] وهؤلاء الشيوخ وما يتبعهم من متطوعة لم يكونوا من أهل الديوان، وإنما كانوا يفدون من القرى والبوادي والأمصار ،[٤] أو لأمر إمام المسلمين بالنفير العام للجهاد في سبيل الله امتثالا لقول

---

[١] الأحزاب أية رقم ٢٣.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، ج٨ (بيروت، د.ت)، ص ٢٤٣.

[٣] عبد الله بن سعيد بن محمد سافر الغامدي، دور المتطوعة في حركة الجهاد ضد الصليبين والمغول، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني م١ (القاهرة، مارس ١٩٩٤)، ص ٣٢٧-٣٢٨.

[٤] نظير حسان سعداوي، جيش مصر في أيام صلاح الدين (القاهرة ١٩٥٩)، ص ١٧.

الحقِّ تبارك وتعالَى" انفرواخفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"[٥].

عوامل ظهور مشيخة الغزاة:

سارت دولة بني مرين، [٦]على سياسة أسلافها المرابطين والموحدين التي تقوم على حماية الأندلس من أطماع جيرانها المسيحيين، ولما كانت الأندلس على عهد الدولة المرينية، قد اقتصرت حدودها على مملكة غرناطة الإسلامية في جنوب شرق أسبانيا، وكان يحكمها ملوك بني الأحمر، أو بني نصر،[٧] ولا شك أن مملكة صغيرة محاطة بالأعداء مثل مملكة غرناطة، [٨] كانت في حاجة إلى مساعدة جيرانها وإخوانها في الدين بالعدوة المغربية، ولقد

---

[٥] سورة التوبة، أية رقم ٤١.

[٦] تنسب دولة بني مرين إلى فخذ قوي من قبيلة زناته التي تسكن الصحراء، وينتقلون ما بين ملوية وسجلماسة، أي من القبائل الرحل، وكانت لهم اتصالات قوية حيناً وضعيفة حيناً آخر بالدول التي تحكم المغرب، وكانت أول مشاركتهم الفعلية في موقعة الأرك عام (٥٦١هـ/١١٩٥م) بقيادة الأمير محيو بن أبي بكر المريني، ولم يفكر المرينيون في التوغل داخل الأراضي المغربية إلا في عام ٦١٠هـ/ ١٢١٢م إثر هزيمة العقاب، وقد تولى الأمير عبد الحق بن محيو المريني بنفسه عملية التقدم من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى ودخلوا في صدام مع الموحدين استمر ثمانية وخمسون عاماً، انتهى على يد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني الذي دخل مراكش عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وأعلن قيام دولة بني مرين، انظر ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج٧ (بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٢٢١-٢٢٢؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج٣ (المغرب ١٩٥٤)، ص ٤؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ١٩٨٢م)، ص ٤٠٤؛ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة(الرباط ١٩٧٢م)، ص١٦١؛ ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور (الرباط ١٩٩١م)، ص ٢٩.

[٧] يرتفع نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج على عهد رسول الله (ص) أما تسميتهم ببني الأحمر، فنسبة إلى جدهم عقيل بن نصر، الذي لقب بالأحمر لشقرة فيه، وقد استمر هذا اللون الأشقر يظهر في بعض أفراد هذه الأسرة مثل محمد السادس، الذي لقب في المصادر الأسبانية بالبر ميخو Bermja ومعناها اللون البرتقالي الضارب إلى الحمرة، وهو لون شعره ولحيته، كما اتخذ ملوك هذه المملكة اللون الأحمر شعاراً لهم في قصورهم بالحمراء وأعلامهم، وقبابهم بل وفي لون الورق الذي يكتبون عليه رسائلهم. للمزيد انظر أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس (القاهرة ١٩٦٨م)، ص ٢٢٦-٢٢٧، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج ٥ (بيروت ١٩٦٨)، ص ٤٩؛ ج ٦، ص ١٦٢- ١٦٣.

[٨] مملكة غرناطة: أسم أعجمي ومدينة كورة البيرة وتسمى سنام الأندلس.... ويشغل شكل هذه المدينة العظيمة وما يرجع إليها من أرباضها على جبال خمسة، وسهل فسيح الساحة وبعيد الأقطار... وربض البيازين إلى الشمال من المدينة، وكان للمدينة مسجد عظيم وأسواق عامرة. للمزيد انظر ابن فضل الله العمري، وصف أفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، (تونس د ت)،ص٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،

استجاب سلاطين بني مرين إلى هذا النداء، وقادوا الجيوش، وأرسلوا الحملات عبر مضيق جبل طارق، لمساعدة إخوانهم الغرناطيين من جهة، والاحتفاظ ببعض القواعد الجنوبية الأندلسية التي تضمن لهم السيطرة على مضيق جبل طارق من جهة أخرى [٩]. هذا وقد لعبت القبائل البربرية والعربية دوراً كبيراً في إزالة الخلافات بين بني مرين وبني عبد الواد الزيانية بتلمسان، وإقرار الصلح بين مليكهما يعقوب، [١٠] ويغمراسن،[١١] لكي يتسنّى للقبائل التفرغ للجهاد بالأندلس[١٢].

وكان لاستمرار الصراع غير المتكافئ بين غرناطة وممالك أسبانيا النصرانية، أثر بالغ حيث شعر أهلها بأنهم كالغرباء في بقعة من الأرض محاطة بالبحر وبالأعداء، وتعكس كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين مثل هذا الشعور، حتى قبل سقوط غرناطة بزمن طويل، فابن الخطيب المتوفى عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م يدعو الله أن يعينهم على إقامة الدين في "هذا الوطن الغريب" [١٣] "وإن الله تعالى ولى هذه الأمة الغريبة" [١٤] ويصف أهل الأندلس " بالأمم الغريبة"

تحقيق محمد عبد الله عنان، ج ١ (مصر ١٩٧٣م) ص ٩١-٩٩؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق طلال حرب، (بيروت ١٩٨٧)، ص ٤٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٤، (بيروت ١٤٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ١٩٥.

[٩] مصطفى أبو ضيف، أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين وبني مرين (إسكندرية ١٩٨٣م)، ص ١٦٨.

[١٠] يعقوب: هو يعقوب بن عبد الحق بن محيو من أم حرة أسمها ذاكية مباركة بنت محلي البطيوي الزناتي، ولد عام ٦٠٧هـ/ ٢١٠م وكان معتدل القامة جميل الصورة محباً للعلماء والفقراء متواضعاً، وكان شديد التدين كثير الصوم، بويع له بالخلافة بفاس عام ٦٥٦هـ /١٢٥٨م وتابع طريق أسلافه في الاستيلاء على مناطق المغرب شيئاً فشيئاً من يد الموحدين إلى أن استولى على عاصمتهم، وكان ليعقوب أربع جوازات إلى الأندلس، وفي أثناء تفكيره في العبور إلى الأندلس، ورد عليه رسول يغمراسن الذي عرض عليه الصلح فقبله عن رضىً. للمزيد انظر ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص١٩١؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ،ج ٢ (المغرب ٢٠٠٠م) ص ١٤-٢٤.

[١١] يغمراسن: هو يغمراسن بن زيان من بني عبد الواد، تمرد على سلطان أفريقية الأمير أبي زكريا وإعلان الاستقلال بتلمسان، فتحرك الأمير أبو زكريا عام ٦٣٩هـ /١٢٤١م، وطلب منه الطاعة وعندما رفض غزا الأمير زكريا تلمسان، ولم يجد يغمراسن حلاً إلا الفرار من أحد أبوابها، ثم عفا عن يغمراسن وأذن له بالرجوع إلى تلمسان، ثم دخل يغمراسن في حرب ضد سلاطين بني مرين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، فحاصر أبو يوسف تلمسان واستمر الحرب بينهما إلى أن هلك يغمراسن عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م. انظر الحميري، الروض المعطار، ص١٣٦؛ ابن خلدون،العبر ج٧، ص ٢٤٤-٢٨٣.

[١٢] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ١٨٤؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٣٢.

[١٣] المقري، نفح الطيب، ج ٦، ص ١٦٦، ج ١٠، ص ٢٥٩؛ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون،ج١، (القاهرة ١٩٤٥)، ص ٣٣٤.

[١٤] المقري، نفح الطيب، ج ٦، ص ١٨٦.

"وطننا الغريب" [١٥]" وأنها بلد محصورة بين لحم أسد هصور"[١٦]" والقطر الوحيد المنقطع بين الأمم الظافرة والبحور الزاخرة، والمرام البعيدة "[١٧]"وإن المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار عشر المعشار، ولا وبرة من جلود العشار"، [١٨] بل أنه ينصح أبناءه بأن لا يحصلوا على عقارات ثابتة، وإنما ينفقون أموالهم في أشياء منقولة يستطيعون نقلها معهم بسهولة في حالة الغزو، حيث يقول المقري "ومن رزق منكم مالاً بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في العقار فيصبح عرضة للخدمة والاحتقار، وساعياً لنفسه أن تغلب العدو على بلاده في الافتضاح والافتقار، ومعوقاً على الانتقال أمام النوب الثقا " [١٩]. كذلك يصف المقري الأندلس بأنها "الوطن الذي أحاط به العدو والبحر "[٢٠]ومن المحتمل أن تكونِ كلمة "غرباء"التي تكررت في كتابات الغرناطيين في تلك الفترة لها علاقة بحديث النبي عليه الصلاة والسلام"ولد الإسلام غريباّ وسيعود غريباً" كما بدأ فطوبا للغرباء"[٢١].

ولما كان وجود غرناطة بين ثلاث دول مسيحية هي قشتالة وأراجون والبرتغال جعل الشعب الغرناطي دائم الاستعداد للقتال والذود عن حياته، حتى أنهم كانوا يخرجون إلى الفحوص في أيام الأعياد حاملين أسلحتهم معهم لقربهم من أراضي العدو، وتعرضهم لغزواته في أي وقت، [٢٢] وقد أشار ابن الخطيب إلى الإعداد الحربي للشباب في غرناطة بقوله " والبروز إلى الفحوص –الوديان وأماكن التنزه – بأولادهم وعيالهم، معولين على شهامتهم وأسلحتهم على كثب عدوهم، واتصال أبصارهم بحدود أرضه " [٢٣] .

وهكذا أصبح المسلمون في غرناطة محاصرين بالعدو ويشعرون أن زوالهم عن بلادهم أصبح قاب قوسين أو أدنى، فاتجهت أنظارهم إلى تلك الدولة الفتية الجديدة التي خلفت دولة الموحدين، وورثت كل مشاكلها أيام انحطاطها، فصار لزاماً عليها المحافظة على ما بقى للمسلمين بالأندلس من حصون بعد أن شدد العدو غاراته عليها، فدوت صيحاتهم إلى سلاطين

---

[١٥] نفس المصدر والجزء والصفحة.

[١٦] نفس المصدر، ج ١٠، ص ٢٣٧.

[١٧] أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر(الإسكندرية ١٩٩٧)، ص٢١٣.

[١٨] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج ٧ (القاهرة ١٩١٣)، ص ٥١.

[١٩] المقري، نفح الطيب، ج ١٠، ص ٢٥٩؛ أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٣٤.

[٢٠] نفس المصدر، ج ١٠، ص ٣٤٣.

[21] A.M. AL Abbady، *EI Reino de Granada ea Epoch de Muhammad* (Madrid1973)، pp. 4-5.

[٢٢] أحمد الطوخي، مرجع سابق، ص ٢١٤.

[٢٣] ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (بيروت ١٩٧٨)، ص ٤٠.

المغرب لإنقاذهم، [٢٤]خاصةً وأن المسلمين قد فقدوا عام ٦٢٢-٦٧٠هـ /١٢٢٥-١٢٧١م كثيراً من المدن والمراكز المهمة بالأندلس كقرطبة [٢٥]عام ٦٣٦هـ /١٢٣٨م، وجيان [٢٦]عام ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م، وإشبيلية [٢٧] عام ٦٤٦هـ /١٢٤٨م، وبلنسية،[٢٨]وتنازل ابن الأحمر [٢٩]للعدو عن كثيرٍ من المراكز التي كانت بيده عجزاً عن حمايتها،واحتفظ من أرض الأندلس بالجنوب الغربي متخذاً غرناطة عاصمةً له [٣٠].

وأثناء ذلك أخذت رسل الأندلس ووفودها تتوالى على بني مرين بالمغرب،مطالبةً بالمزيد من العون العسكري لصد الغارات المتكررة من النصارى، فأُلقيت في ذلك القصائد، وكتبت الرسائل، وكانت تلك القصائد، والخطب الحماسية تُلقى على المنابر بالمساجد، والساحات،وكانت قويةً ومؤثِرة، تبكي الحاضرين عند سماعها .

ونتيجةً للمصالح المشتركة بين بني مرين وبني الأحمر ملوك غرناطة، استطاعوا أن يصلوا إلى نتائج حسنة ومهمة للتعاون المشترك لرد الخطر النصراني القادم من مملكة

---

[٢٤] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٥٢؛ إبراهيم حركات، المرجع سابق، ج٢، ص١٩.

[٢٥] قرطبة، مدينة عظيمة وسط الأندلس، وكانت عاصمة الخلافة الأموية، وتعتبر من أعظم بلاد الأندلس، ولها عدة أربطة، ويمر بها نهر، على جانبي النهر تقام الأسواق والبيوع.للمزيد انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٢٤- ٣٢٥.

[٢٦] جيان، مدينة كبيرة تقع شرق قرطبة، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي كورة كبيرة تجمع قرى وبلدان كثيرة.انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج٢ص١٩٥ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (بيروت ١٩٨٣)، ص ١٨٣- ١٨٤.

[٢٧] اشبيلية،إحدى مدن الأندلس الكبرى، كانت مقر بني عباد، وتقع غرب قرطبة وبينهما ثلاثون فرسخاً، ويكثر بها شجر الزيتون وسائر الفواكه، كما يزرع بها القطن الذي يحمل لكافة أرجاء الأندلس والمغرب، وتقع اشبيلية على نهر عظيم تسير فيه المراكب وعليه الكباري، وينسب إليها الكثير من العلماء. انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٥.

[٢٨] بلنسية، مدينة كبيرة تقع شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ستة عشر يوماً وتشتهر بالأسواق، كما يكثر بها المزروع نظراً لمرور نهر بها يسقى المزروع، ولها عليه بساتين وجنات، لذلك رخصت بها الأسعار. انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج١ص٤٩٠؛ الحميري؛ الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٧- ٤٨.

[٢٩] ابن الأحمر، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر بن قيس الخزرجي، سلطان الأندلس، نشأ بأرجوانه، وكان آيةً من آيات الله في السذاجة والسلامة، رافضاً للدعة مؤثراً للتثقيف، شديد الحزم، تظاهر لأول أمره بطاعة السلاطين بالمغرب وأفريقية، ثم دعا للخليفة العباسي، توفى ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م. للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٢-٤٩.

[٣٠] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩.

قشتالة[٣١] وغيرها، ولذلك رأت القيادتان المرينية والغرناطية ضرورة وضع قوات من المجاهدين في الأندلس للإقامة في العاصمة غرناطة، [٣٢] فظهر ما يعرف في تاريخ الأندلس بمشيخة الغزاة المجاهدين، وفي ذلك يقول ابن خلدون "والمطَوعة من قبائل المغرب وتولى هؤلاء موسى بن رحو وابن عمه عبد الله بن عبد الحق، ووصلوا إلى الأندلس ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م وكما انتقل إلى الأندلس للانضمام إلى المجاهدين من أبناء ملوك المغرب الأوسط مثل عبد الملك ويغمراسن بن زيان بن محمد بن عبد القوي، فتعاقدوا على الإجازة إلى الأندلس إلى الجهاد، وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ٦٧٦هـ /١٢٧٧م فامتلأت الأندلس بأفيال زناته وأعياص الملك منهم، وكان فيمن أجاز من أعياصهم بنو عيسى بن يحيى بن وسنان بنو عبو بن أبي بكر بن حمامه، ومنهم سليمان وإبراهيم، وكانت لهم أثار في الجهاد ومقامات محمودة"[٣٣].

نظم كتائب شيوخ الغزاة :

اتسمت كتائب الشيوخ بنفس الصفات التي كانت في الجيش المريني والغرناطي، واستعملت نفس العدة أيضاً ،وكانت الكتائب مكونةً من مشاة وفرسان، كما كانت تتكون من عدد من القبائل، منها غمارة الزناتية،[٣٤] والتيجانية، والمغراوية [٣٥] والعجيسية [٣٦] والعرب المغربية [٣٧]

---

[٣١] تم عقد اتفاقية بعدم العدوان، انظر عمر سعيدان، العلاقات الأسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي وسقوط غرناطة (تونس ٢٠٠٣م) ص ٤٣.

[٣٢] أحمد مختار العبادي، فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، م١٧،٢٨، ١٩٥٩، ١٩٦٠) ص ٤٨.

[٣٣] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٨٦.

[٣٤] غمارة، من أشهر شعوب البربر وقبائلهم، سموا بهذا الاسم نسبة لوالدهم غمار بن مصمود، وقيل غمار بن سطاف بن مليل بن مصمود، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمارة، وهو مذهب عامي، تمتد مواطنهم على ساحل البحر المتوسط من حد بلاد الريف إلى المحيط الأطلسي، ثم حدثت تغيرات كثيرة في مساكنهم عندما غمرت القبائل الهلالية المغرب، فاستقروا جنوب شرق تطوان على ساحل البحر المتوسط. انظر عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب(الرباط ١٣٨٨هـ /١٩٦٦م)، ص ٣٢٥- ٣٢٦.

[٣٥] مغراوة، فرع من زناته، استقرت في مكناسة، ثم طردوا منها على يد قوم ينتمون إلى قبيلة صنهاجة ويعرفون بلمتونه، وتفرق شمل مغراوة، إلى أن ظهر منهم بني مرين التي استولت على الحكم واتخذت فاس عاصمة لها. انظر الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة،محمد حجي، محمد زنبير ج١، (بيروت ١٩٨٣)، ص٣٧-٣٨.

[٣٦] عجيسة، من بني برنس، وهم من أحد البطون البربرية، وسكن أغلب بطونها بالمغرب الأوسط بجوار صنهاجة في جبل قلعة بني حماد، وهاجرت بعض بطون هذه القبيلة عندما قدم العرب، والباقي يقيم جنوب بجاية. انظر عبد الوهاب بنمنصور؛ مرجع سابق، ص ٣٣٦.

والقبائل المرينية.[٣٨] وكانوا غالباً فرساناً ، اشتهروا بشجاعتهم، كما اشتهروا بالنظام والتكتيك الحربي الخاص بهم عرف باسم قبيلتهم زناته، وذاع هذا النظام الحربي في اسبانيا الإسلامية والمسيحية على حد سواء، ولقد اتخذ ملوك قشتالة إلى جانب فرقهم الثقيلة المدرعة بالحديد فرقاً خاصة من الفرسان يحاربون على طريقة الفرسان الزناتيين الخفيفة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب المرتفع، وطريقة الكر والفر في القتال، وأطلقوا عليهم اسم Genets ويلاحظ أن هذا الاسم مشتق من لفظ Zeniths أي زناته، ولا يزال لفظ Genets مستعملاً إلى اليوم في اللغة الأسبانية بمعنى فارس، [٣٩] كما أن ابن الخطيب يمتدح فروسية الأمير فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بكونه زناتي الشكل والركض والآلة، وعروس الميدان.[٤٠] وسلاح جمهورهم العصي الطويلة، المثناة بعصي صغار ذوات عُوى في أوساطها، تدفع بالأنامل عند قذفها تسمى " بالأمداس " وقصى الإفرنجية يحملون على التدريب بها على الأيام.[٤١]

كتائب الشيوخ :

تخبرنا المصادر أن كتائب شيوخ الغزاة بغرناطة تمتعت بمركز مرموق ونالوا الكثير من الحظوة لدى سلاطينها، وكان لهم جزء كبير من الضرائب[٤٢] وفي عهد أبي عبد الله محمد الخامس الغني بالله[٤٣] زيدتُ مرتبَات الجنود الزناتيين التي كانت تدفع مقدماً ، كما زيد نصيبهم من الغنائم، [٤٤]وأكثر لهم من الجباية في الأعطية والأرزاق،[٤٥] كذلك كان السلطان يختصهم في عطائهم " بالعولة وهي أقواتهم وعلوفتهم من الزروع"[٤٦] كما كانت لهم ضاحية في غرناطة

---

[٣٧] القبائل العربية، هي قبائل سيفان والخلط والعاصم وابن جابر من بطون جثم من الأثبج، وذوي حسان والشبانات من عرب المعقل، وقبائل رياح وغيرهم. انظر مصطفى أبو ضيف، مرجع سابق، ص ١٦٨.

[٣٨] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٣٦.

[٣٩] ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني (القاهرة، د ت)، ص ١٧.

[٤٠] الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص ٢٤٦.

[٤١] نفس المصدر، ج ١، ص ١٣٦– ١٣٧.

[٤٢] ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ٣٧٧.

[٤٣] أبو عبد الله محمد الخامس، الغني بالله: تولي السلطة بعد مقتل أبيه عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م وكان حدثا يافعاً، استأثر بشؤون الدولة حاجبه ومولي أبيه من قبل أبو النعيم.للمزيد انظر محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين (القاهرة١٩٦٦)، ص ١٣٩.

[٤٤] المقري، نفح الطيب، ج ٧، ص ٧، ج ٩، ص ٥٤.

[٤٥] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٥٠٠.

[٤٦] ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٤.

تسمى zenith كان الزناتيون يقيمون فيها في عهد بني نصر[٤٧] كما كان لشيخ الغزاة كاتب مثل على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي توفى ٧٤٩هـ الذي كتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا يحيى بن عمر على عهده، ثم انصرف إلى العدوة المغربية في السابع عشر جمادي الأولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة[٤٨] كذلك عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي الذي كان كاتباً للغزاة منوهاً به مشهوراً .[٤٩]

الدور الجهادي لمشيخة الغزاة :

ونأتي الآن إلى الموضوع المحوري، محل هذا البحث، حيث سنجد أنه منذ تأسيس غرناطة وأميرها لم يفتأ في إرسال الرسل لإخوانه بالعدوة المغربية يستنجدهم للقيام بدورهم، مثلما قام من قبلهم المرابطون والموحدون، في صد هجمات الصليبين القادمين من مختلف بلدان أوربا، المصممين على طرد ما بقى من العرب بالأندلس، وكان السلطان أبو يوسف يعقوب المريني متحمساً للعبور إلى الأندلس للمشاركة في جهاد النصارى، ولكن لأسباب سياسية اضطر للعمل على توطيد الأمن بالمغرب الأقصى أولاً ، لذلك اكتفى بإرسال فرق من المجاهدين من زناته يقودهم شيوخ من بني مرين.[٥٠]

وفي ذلك يقول ابن خلدون " ولم ينشب يعقوب بن عبد الحق أن قام بسلطان المغرب بعد أخيه أبي يحيى وشغل بشأنه، وأهمه شأن ابن أخيه إدريس[٥١] منهم في الجهاد بعد العدوة، فأغتنمها منه وعقد له من مطوعة زناته على ثلاثة آلاف أو يزيد، وأجاز معه الأمير موسي ابن رحو وابن عمه عبد الله بن عبد الحق[٥٢] ووصلوا إلى الأندلس سنة إحدى وستين وستمائة،

---

[٤٧] أحمد الطوخي، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

[٤٨] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص ١٢٢- ١٤٧.

[٤٩] أحمد الطوخي، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

[٥٠] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤٨٥.

[٥١] عامر بن إدريس:هو عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق المريني، ويكنى أبا ثابت، كان جليلاً فذاً في الكفاية والإدراك، عارف بلسان قومه وأغراضهم، وأرسله السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني إلى الأندلس، ونزل طريف ومنها إلى غرناطة، ولكن وقع مع السلطان خلاف فرجع إلى المغرب ونكب وجماعته بسبته وقبض عليه وأودع بسجن مكناسة واستمر إلى أن توفى عام ٧٤٩هـ /١٣٤٨م. انظر ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٨٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص ٦٤- ٦٧.

[٥٢] موسى بن رحو، أجاز للأندلس عام ٦٧٣هـ /١٢٧٤م وقاد عدة حروب ضد نصارى الأندلس حيث قتل حاكم دُنه، ورجع للمغرب فعقد لأخيه عبد الحق ولما رجع موسى تولى المشيخة، واستمر بها إلى أن توفى عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م. انظر ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٨٨.

فحسنت آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم" [٥٣] ولإحساس ملوك المغرب بواجبهم تجاه الأندلس يقول ابن خلدون " فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الأوسط مثل عبد الملك، ويغمراسن بن زيان، وعامر بن منديل بن عبد الرحمن، وزيان بن محمد بن عبد القوي فتعاهدوا على الإجازة إلى الأندلس إلى الجهاد، وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة، فامتلأت الأندلس بأفيال زناته وأعياص الملك منهم ". [٥٤]

واستقبل بنو الأحمر هؤلاء القادة بترحاب ومودة، وعقدوا لهم على قيادة الغزاة المجاهدين الوافدين للأندلس سواء بأنفسهم أو مع جيوش المغرب، وشغل الأمراء المرينيون وخاصة من بني عبد الحق هذه الوظيفة بطريقة تكاد تكون وراثية[٥٥] وكان مقر قيادة مشيخة الغزاة بغرناطة، وتتفرع عنها قيادات فرعية في وادي آش[٥٦] وُرندة،[٥٧] ومالقة،[٥٨] وذكوان، وقمارش،وحصن قشتال، وحصن علودان،[٥٩] هذا التواجد لقيادة شيوخ الغزاة بأغلب مدن الأندلس أصبح لهم تواجد في كل معركة تدور رحاها على أرض الأندلس، فمن أولى المعارك التي كان لشيوخ الغزاة الدور الفعال فيها موقعة استجه[٦٠] يوم السبت ١٥ربيع الأول عام ٦٧٤هـ /٧سبتمبر ١٢٧٥م . حيث كان لهم نصيب كبير في الدفاع عن الإسلام عندما نادي أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق في المجاهدين من جنده، ويقدم بن أبي زرع صورة للواقع

---

[٥٣] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص٤٨٥- ٤٨٦ .

[٥٤] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٨٦.

[٥٥] ابن خلدون،العبر، ج ٧، ص ٤٨٧.

[٥٦] وادي آش، مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، كبيرة تحوطها المياه من النهر النابع من جبل شلير، وعليه أرحاء، ويكثر بها زراعة التوت والعنب والزيتون وأصناف أخرى، وبها حمامات وعليها سور. انظر الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٦٠٤.

[٥٧] رُندة،مدينة قديمة بها آثار كثيرة،وتقع على نهر جار، وبها زروع، وقيل حصن بين إشبيلية ومالقة. انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٣، ص٧٣- ٧٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٩.

[٥٨] مالقة، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَية، سورها على شاطئ البحر، وتقع بين الجزيرة الخضراء والمرية، وتقع على ساحل البحر المتوسط، لذلك يقصدها التجار فتضاعفت عمارتها، وينسب إليها الكثير من العلماء. انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٤٣؛ الحميري، مصدر سابق، ص ٥١٧.

[٥٩] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص ٦٧؛ اللمحة البدرية، ص ٥٧، ٩٣؛ ابن خلدون، العبر،ج ٧، ص ٤٨٦- ٥٠٢، ٢٥٤.

[٦٠] أستجه، مدينة قديمة عليها سورين، أحدهما صخر أبيض، والثاني صخر أحمر بأجمل صنعة، وردم بينهما، وبالسور أربعة أبواب، وقريبة من البحر، ولها عدة أرباض وأسواق عامرة وفنادق، وتكثر بها البساتين والزروع. للمزيد انظر الحميري، مصدر سابق، ص ٥٣.

فيقول " يامعشر المسلمين وعصابة المجاهدين إن هذا يوم عظيم ومشهد جسيم"[٦١]. وكان لهذا النداء أكبر الأثر علي المسلمين خاصةً شيوخ الغزاة فارتفعت أصواتهم بالتكبير، وبدأ القتال .والتقي الجمعان، ولم تلبث أن هبت ريح النصر ،ودارت الدائرة علي النصارى، ولم يتمهل القائد النصراني حتى تصله التعزيزات حيث أصر علي مواقعه المسلمين فوراً ،[٦٢] وهنا نجد اشتراكاً في المعركة من مسلمين ومجاهدين وعلى رأسهم شيخ شيوخ الغزاة موسى بن رحو ،[٦٣] ومقابل جهادهم وبلائهم في هذه الموقعة، كان السلطان يزيد أنصبتهم من الغنائم. [٦٤]

ومن آثار هذا الانتصار عقد صلح أقره كلُ من سلطان المغرب وملك إشبيلية الذي كان لشيوخ الغزاة النصيب الأكبر فيه، ورجع أبو يوسف إلى المغرب معتمداً على شيوخ الغزاة في الاحتفاظ بهذا النصر، وفي ذلك يقول كمال شبانه " وكان من نتائج . التفاهم المغربي الأسباني . أن خلف سلطان المغرب من ورائه ببلاط غرناطة بعض مشاهير القواد من شيوخ الغزاة "[٦٥].

وكان على رأس هؤلاء الشيوخ موسى بن رحو ،ولما تُوفى عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م،تولى بعده أخوه عبد الحق بن موسى بن رحو، الذي شارك في حملة مالقة مع أبي محمد عبد الله ابن الحسن بن اسقيلولة، الذي ضعف أمره فطلب من السلطان يعقوب بن عبد الحق عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م أن يتسلم منه مالقه قائلاً " إني عجزت عن ضبطها، فإن لم تصل إليها وتضبطها من يدي أعطيتها للروم، ولا يتملكها ابن الأحمر أبداً "[٦٦]. وقد قبل منه يعقوب عرضه بعد تردد وذلك خشية تسلم النصارى لها، معتزماً على إرجاعها إلى ابن الأحمر بعد هدوء الحالة، وعقد عليها لإبنه أبي زيان منديل حيث رحل إليها، ودخل قصبتها، في آخر رمضان عام ٦٧٦هـ / مارس ١٢٧٨م[٦٧]، وتلقاه أهلها بفرح عظيم، ويقول ابن خلدون " وأقام فيهم إلى خاتم سنته، ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلي من صنائع دولتهم، وأنزل معه المالح وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من أبطال بني مرين ... وارتحل إلى الجزيرة" [٦٨]. وكان شيخ الغزاة في هذه الحادثة زيان بن أبي عياد،[٦٩] القائم على حماية مالقه

---

[٦١] روض القرطاس، ٣١٧.

[٦٢] J. N. Hill Garth , *The Spanish Kingdoms*, vol. 1 (Oxford 1976), p. 326.

[٦٣] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٨٧.

[٦٤] المقري، نفح الطيب، ج ٧، ص ٧؛ ج ٩، ص ٥٤.

[٦٥] كمال شبانه، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ٧٣٣-٧٥٥ هـ (القاهرة ١٩٦٩)، ص ٢٩.

[٦٦] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٢٨.

[٦٧] Quesada, M.A. Ladero, *Granada Historia de un Pais Islamic* (1232- 1517) (Madrid 1979), p. 172.

[٦٨] العبر، ج ٧، ص ٢٦٢.

من أي غزو صليبي لها ،خاصةً وأن الأمور كانت هادئة بعد عقد الصلح بين أبي يوسف والفونسو العاشر عام ٦٨١هـ /١٢٨٢م،وكان جُوهر الصلح يطلب الفونسو مساعدة أبي يوسف على ابنه شانجه،نظراً لانشغاله بالمطالبة بعرش الإمبراطورية المقدسة[٧٠] . ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن حيث مات الفونسو مهزوماً عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م فتجددت الحرب بين أبي يوسف والأسبان .

ونظراً لنقض شانجه اتفاق والده مع أبي يوسف،[٧١] قرر الأخر عبور الأندلس لمواصلة حركة الجهاد، وتمكن أبو يوسف من العبور إلى الأندلس في ٥ صفر ٦٨٤هـ /١٢ابريل ١٢٨٥م ومعه الكثير من الجند،وعلى رأسهم فرق المتطَوعة والتي بلغ عددهما ألفين،[٧٢] ونزل طريف[٧٣] ومنها سار إلى الجزيرة الخضراء،[٧٤] فأقام بها أياماً استعد خلالها لغزو قشتالة، وأثناء ذلك وافاه المدد من غرناطة، من عساكر شيوخ الغزاة، وقائدهم يعلي بن أبي عياد بن عبد الحق بوادي وبذة [٧٥]. فلاقاهم بالبر، والتكريم [٧٦] ووصل عدد جيوش أبي يوسف إلي ما يزيد على عشرين ألفاً .

تمكن أبو يوسف من اقتحام قرمونه، [٧٧] وأرسل كتائب أخرى لمحاصرة شريش، [٧٨] وكان الوقت آنذاك موسم الحصاد، فأمر جنوده بحصاد الزرع ونقله إلى معسكراتهم . ويقول ابن

---

[٦٩] العبر، ج ٧، ص ٤٨٨.

[٧٠] Ladero, op cit., p. 11.

[٧١] J. F. Callaghan, *A History of Medieval Spain* (London 1975), p. 376.

[٧٢] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٧٤.

[٧٣] طريف: جزيرة على البحر المتوسط على مدخل جبل طارق، ويتصل غربها بالمحيط الأطلنطي، وهي مدينة صغيرة عليها سور، ويشقها نهر صغير، وبها عدة أسواق وفنادق وحمامات، ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا. انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٢.

[٧٤] الجزيرة الخضراء، تقام على ربوه مشرفة على البحر المتوسط، ويحيطها سور، وخندق يحاط بها ما عدا جهة البحر، وهي منيعة حصينة، بالجزيرة جامع حسن البناء يقع في وسط الجزيرة، وأسواقها دائمة، وبها دار صناعة السفن والأسلحة، وبغربي الجزيرة عدة بساتين، وميناء لرسو السفن، حيث تدخل ميناءها السفن من بر العدوة وخلافه، وبالجزيرة قلاع وحصون. للمزيد انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣-٢٢٤؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٦.

[٧٥] وادي وبذة، حصن على وادي، وبها كثير من الأرحاء، ويقام على جانبي النهر عدة قرى، ويزرع بها عدة أنواع من المحاصيل. انظر الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٧.

[٧٦] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٧٥.

[٧٧] قرمونه، مدينة بالأندلس في شرق أشبيلية، بينها وبين استجه خمسة وأربعون ميلا، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين ارتفاعه ثلاثة وأربعون ذراعاً، وعلى السور أبراج، ينصب على السور العرادات عند القتال، والسور به

أبـي زرع " لـم يبـق فـي المحلـة دابـة إلا جـاءت موفـورةً بـالقمح والشـعير "[٧٩] وانتشـر جـيش المسلمين لمحاصرة بقية الحصون للتضييق على القشتاليين حتى خضع شانجه للسَلم . وقبل شانجه جميع الشروط [٨٠].

وتمر الأحداث ويقدم المؤرخون النزر القليل عن دور شيوخ الغزاة، وباستقراء الأحداث نجد أنه كان لهم دوراً في كل غزوة قام بها ملوك بني الأحمر، وبني مرين ضد نصارى الأندلس .

جهاد عثمان بن أبي العلاء (شيخ الغزاة) بالأندلس:

خاف شانجه على مملكته من مشاريع أبي يعقوب بالأندلس، لذلك سعى إلى محالفة السلطان محمد الفقيه، [٨١] وحذره من أن بني مرين عازمون على القضاء على مملكته، كما خاف ابن الأحمر من أبناء اشقيلولة المقيمين بالمغرب، وتوقع إغراءهم من أبي يعقوب إرضاءً لطموحاتهم، وكعادة بني نصر مع سلاطين المغرب، اضطر محمد الفقيه للبحث عن حليف آخر، فوجد في شانجه العدو الحقيقي لبني مرين للتحالف معه ضد أبي يعقوب، واتفق معه علي الاستيلاء على طريف، ليقطع بذلك الطريق على أبي يعقوب، ومنعه من الجواز إلى الأندلس ثانية [٨٢].

اتفق السلطان محمد الفقيه مع شانجه بان يزود عساكر قشتالة بالمؤن طيلة أيام الحصار، على أن تُرد إليه بعد الاستيلاء عليها،وبذلك حاصرها شانجه براً وبحراً ، وشارك في الحصار

عدة أبواب، وبقرمونه جامع كبير، وسوقها جامعة يعقد يوم الخميس وبها حمامات ودار لصناعة السلاح، وبينها وبين أشبيلية عشرون ميلا. للمزيد انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦١؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٣٠

[٧٨] شريش، بلدة من كورة شذونه بالأندلس،بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا، وهي علي مقربة من البحر ،وتكثر بها الزروع، وبالقرب منها حصن روطة علي شاطئ البحر المتوسط، بينهما ستة أميال، والحصن موضع رباط ومقر للصالحين . المجاهدين . يقصد إليها من الأقطار الأخرى، وشريش مدينة متوسطة حصينة حسنة الجهات.للمزيد انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٠.

[٧٩] روض القرطاس، ص ٣٤١.

[٨٠] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٧٧؛ شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة (تونس ١٩٧٨)، ص ٢٢٣.

[٨١] محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ويكني بالفقيه،ولد بغرناطة عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة، حيث استطاع إخماد الكثير من الثورات مما ذاع صيته بين الملوك والسلاطين، كما قام بعدة حملات علي الروم وأنتصر فيها بمساعدة سلاطين المغرب، توفي عام ٧٠١هـ/١٣٠١م. للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٥٠-٥٨.

([٨٢]) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نشره ليفي بروفنسال بيروت ١٩٥٦، ج ٢، ص ٢٩٠.

أسطول جنوه وأراجون، وأسطول غرناطة المكون من عشرين سفينة [٨٣]، وشددوا عليها الحصار، ونقل السلطان محمد الفقيه مركز قيادته إلى مالقه ليكون قريباً من القشتاليين، واستمر في إرسال المؤن، والعتاد، وكل ما يحتاج إليه جيش النصارى طيلة مدة الحصار، وهي أربعة أشهر، حتى عجز سكان المدينة عن المقاومة، وطالبوا بالتسليم، والتنازل عن المدينة فاستولى عليها القشتاليون آخر شوال عام ٦٩٢هـ /١٣ أكتوبر ١٢٩٢م،[٨٤]ووضعوا عليها قائداً عسكرياً يدعى قزمان،وظن السلطان محمد الفقيه أن شانجه سوف يوفي بوعده ويسلمه طريف لأنها ضمن أملاكه، لكن شانجه تمسك بها رغم موافقة السلطان محمد الفقيه عن تنازله له عن سته من الحصون عوضاً عنها؛ لكنه رفض ورد عليه بأنه قد غنمها في ساحة القتال[٨٥].

ندم السلطان محمد الفقيه على تفضيل النصارى على إخوانه من بني مرين الذين ساندوه في محنته، وفي درء عدوان النصارى عن بلاده، عندها عاد يخطب ود بني مرين مرةً أخرى، فأوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج إسماعيل صاحب مالقه ووزيره أبا سلطان عزيز الداني، ومعه وفد من أعيان غرناطة إلى السلطان أبي يعقوب لتجديد العهد، وتأكيد المودة، وتقديم المعذرة عما حدث في واقعة طريف، [٨٦] وبالغ أبو يعقوب في بره وإكرامه متناسياً ما حدث في الماضي متمثلاً في قوله تعالى ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾ [٨٧] وكانت لهذه الزيارة أثارها الطيبة في نفسية السلطان محمد الفقيه، الذي رد على ذلك بإعادة الجزيرة، ورُنده، و عشرين حصناً من ثغور الأندلس كانت من قبل في طاعة سلاطين المغرب.[٨٨]

وأرسل أبو يعقوب حملة مؤلفة من خمسة آلاف جندي بقيادة وزيره عمر بن السعود الجشمي لحصار طريف، واسترجاعها من القشتاليين، وتخلف السلطان محمد الفقيه عن المشاركة في حصارها متعللاً بمرض أصابه، [٨٩]ووجه عدداً قليلاً من الجند بقيادة أحد أبنائه وعقد لعبد الله بن أبي العلاء على جند زناته . شيخ الغزاة .، فنازلها السلطان أبو يعقوب

---

(٨٣) Hill Garth , op. cit., p. 228.

(٨٤) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣٤٦،
O'Callaghan , op. cit., p. 397.

(٨٥) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٢٨٥،٢١٦؛ الناصري: الاستقصا، ج ٣، ص ٧٢.

(٨٦) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٢٨٦.

(٨٧) سورة المائدة، آية ٩٦.

(٨٨) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢١٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٧٢.

(٨٩) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٩١؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٥٥.

وامتنعت فأخرج عنها[٩٠] بعد معارك ضارية راح ضحيتها شيخ الغزاة عبد الله بن عبد الحق ابن أبي العلاء عام ٦٩٣هـ /١٢٩٣م،. [٩١]

وتمضي الأحداث ُويتوفى السلطان محمد الفقيه عام ٧٠١هـ/١٣٠١م، ويتولي السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد، [٩٢] ويعقد قيادة مشيخة الغزاة لعثمان بن أبي العلاء[٩٣] على حامية مالقة وغربيها، [٩٤] حيث أجاز المغرب مع باقي العائلة عام ٦٨٥هـ /١٢٨٦م ومع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان بن عبد الحق، واستقروا بالأندلس، بعد فشله في الاستيلاء علي سبته، وفي ذلك يقول السلاوي " ولما رأى عثمان بن أبي العلاء ذلك سقط في يده وأيس من المغرب فعبر البحر فيمن معه من القرابة إلى الأندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء، "[٩٥] وكانوا يرحبون به في رياستهم نظراً لدور كبيرهم عبد الله بن أبي العلاء الذي استشهد عام ٦٩٣هـ /١٢٩٣م[٩٦] في الجهاد.

---

[٩٠] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٨٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٥٧.

[٩١] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص ١٦، ٣٨؛ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (دمشق ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) ص٥٤٠، اختلف المؤرخون في من هلك يقول ابن الخطيب كما أثبتنا في النص، ومحمد عبد الله عنان يقول عبد الله بن أبي العلاء. انظر، نهاية الأندلس، ص ١٠٧

[٩٢] محمد بن محمد بن محمد بن بن يوسف ويكني أبا عبد الله،كان من أعظم سلاطين بني الأحمر،حيث تدرب في الحكم في حياة أبيه،وكان أديباً يقرض الشعر،ومجلسه لا يخلوا من الأدباء والعلماء،له باع طويل في جهاد الممالك النصرانية،كما كان له فضل كبير علي العمارة حيث بني المسجد الأعظم بالحمراء بغرناطة، ولم يستمر الوضع كثيراً لكن سرعان ما وقعت بغرناطة اضطرابات أدت إلى خلع أبي عبد الله محمد المخلوع عام ٧٠٨هـ /١٣٠٩م وقبض عليه ومعه وزيره ونفي إلى مدينة المنكب واستمر بها خمسة أعوام ورجع بعدها إلى غرناطة إلى أن توفى عام ٧١٣هـ /١٣١٤م، وتولي غرناطة بعده أخوه نصر بن محمد الملقب أبو الجيوش، وأصيب السلطان بسكتة توفي علي أثرها عام ٧١٢هـ/١٣١٣م.للمزيد انظر ابن الخطيب،المحة البدرية، ص ٦٠-٧٠.

[٩٣] ولد عثمان بن أبي العلاء بعد عام ٦٥٠هـ /١٢٥٢م وفاق في الفروسية، وتقدم على الجيوش إلى أن تولى مشيخة الغزاة بغرناطة. انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، صححه عبد الوارث محمد على، ج ٢ (بيروت ١٩٩٧)، ص ٢٦٥.

[٩٤] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩١؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٠٧-١٠٨.

[٩٥] الاستقصا، ج ٣، ص ٩٧- ٩٨.

[٩٦] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤٩١.

بدأ الدور الذي ينتظر أبناء أبي العلاء في إدارة حركة الجهاد خصوصاً وأن عثمان بن أبي العلاء كان قائد عام الجيش الغرناطي،[٩٧] وفي الوثائق الغرناطية الأسبانية كان يطلق عليه وزير صاحب سلطان غرناطة، [٩٨] ويرجع ذلك لمكانة عثمان بن أبي العلاء، وارتفاع مكانة مشيخة الغزاة التي كانت لها اليد البيضاء في حركة الجهاد .

ولم تمض حياة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الملقب بالمخلوع علي ما يرام نظراً لعدة أسباب منها: ضعف بصرة،[٩٩] وضعف شخصيته مما جعل وزير أبيه ووزيره أبا عبد الله محمد بن الحكم اللخمي يحجر عليه لعدم حُسن تدبير الأمور،[١٠٠] إلى جانب عقد معاهدة صلح مع ملك قشتالة عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م[١٠١]؛ فسخط عليه أبو يعقوب نتيجة لذلك، فتدخل أبو عبد الله محمد بن محمد في شؤون سبته عن طريق أفراد من أسرة العزفي حكام سبتهَ ، انتهى باحتلاله لها بقيادة عثمان بن أبي العلاء عام ٧٠٥هـ /١٣٠٦م.[١٠٢]

ولم يستمر الوضع كثيراً لكن سرعان ما وقعت بغرناطة اضطرابات أدت إلى خلع أبي عبد الله محمد المخلوع عام ٧٠٨هـ /١٣٠٩م وقبض عليه ومعه وزيرهوذُ في إلى مدينة المنكب، [١٠٣] حيث أمضي بها خمسة أعوام ، رجع بعدها إلى غرناطة حيث توفى عام ٧١٣هـ /١٣١٤م، وقد قاد غرناطة بعده أخوه نصر بن محمد الملقب" أبو الجيوش"[١٠٤].

---

[٩٧] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٣، ص ٥٣٧؛ كمال شبانه، مرجع سابق، ص٤٥، عمر سعيدان، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٣.

[٩٨] عمر سعيدان، العلاقات الأسبانية الأندلسية، ج ١، ص ١٣؛ كمال شبانه، مرجع سابق، ص ٤٥.

[٩٩] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٦٠؛ الإحاطة، ج ٢، ص ٢٥٥.

[١٠٠] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٢٨.

[١٠١] Ladero, *o*p. cit. , p. 116.

[١٠٢] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٢٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص ٥٣٧.

[١٠٣] المنكب، مرسى الأندلس على البحر المتوسط، ويمر بها نهر يرمي في البحر، وعلى المرسى حصن كبير، والمنكب مدينة حسنة متوسطة يكثر بها صيد الأسماك، كما يزرع بها عدة أنواع من الفواكه، وبها ربض وأسواق وجامع حسن البناء. انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٨- ٤٥٩؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٢١٦.

[١٠٤] نصر بن محمد بن محمد..بن نصر ويكني أبا الجيوش،كان دمث الأخلاق لين العريكة عفيفاً محباً للخير،أهتم بعلم الفلك لذلك كان له جداول وصنع آلات لرصد النجوم،وكانت أيامه أيام ذعر لغزو الروم بلاده، إلي جانب قيام الثورات ضده من الوزير وابن العم الذين ناوشوه إلي أن توفي عام ٧٢٢هـ/١٣٢٢م.للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٧٠-٧٧.

وعلى أثر هذه الاضطرابات قامت قشتاله في ٢٩صفر عام ٧٠٩هـ/ ٢١يوليو ١٣٠٩م بحصار الجزيرة الخضراء،ولم تبرحها إلا بعد أن تعهد نصر بن محمد أبو الجيوش بتسليمه عدة قلاع ومبلغاً من المال مقابل رفع الحصار عن الجزيرة الخضراء، وبمجرد انتهاء الحصار عن الجزيرة قام فرناندو الرابعوحاصر جبل طارق براً وبحراً منتهزاً انشغال بني مرين بمشاكلهم الداخلية، لذلك لم ينقذ جبل طارق أحد القوتين لا بني الأحمر ولا بني مرين، ومن ثم سقط في يد فرناندو الرابع عام ٧٠٩هـ /١٣١٠م [١٠٥]. وكان لهذا السقوط أكبر الأثر على المسلمين حيث كان همزة الوصل بين العدوتين .

ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد بل تطاول فرناندو الرابع وحرض مملكة أرجوان على حصار المرية عام ٧٠٩هـ /١٣١٠م رغم وجود معاهدة تحالف وعلاقات صداقة شخصيه بين ملك أرجوان وسلطان غرناطة وشيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء وأبنائه، [١٠٦]فحاصروها براً وبحراً ونصب عليها المجانيق، وبذل النصارى قصارى جهدهم للاستيلاء عليها، ولكن فشلوا نتيجة المقاومة الإسلامية لها بقيادة مشيخة الغزاة وعلى رأسها عثمان بن أبي العلاء، مما اضطر الأرجوانيين إلي رفع الحصار عن المرية بعد أن استمر نحو ستة أشهر. وفي ذلك يقول ابن خلدون " وعقد ابن الأحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الأعياص على عسكر بعثه مدداً لأهل المرية، فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانه،[١٠٧] فهزمهم عثمان واستحلهم، ونزل قريباً من معسكر الطاغية وألح بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم وأخرج عن البلد "[١٠٨].

كان لانشغال بني مرين بأمر المغرب أكبر الأثر على مملكة غرناطة حيث اضطربت أحوالها واستولى القشتاليون على طريف، وجبل طارق لمنع الإمدادات القادمة من المغرب، وأمام هذه الأحداث لم يجد نصر بن محمد الملقب أبي الجيوش بداً من عقد معاهدة صلح مع فرناندو الرابع ملك قشتاله دفع على أثرها جزيةً للعدو،[١٠٩] وقد أغضب هذا العمل أهل غرناطة وعلى رأسهم شيوخ الغزاة المقيمين بغرناطة، وظهرت أعراض الثورة في مدينة مالقه حيث انتهت بخلع نصر بن محمد المكنى "أبا الجيوش" من السلطة وتولية إسماعيل بن فرج بن

---

[١٠٥] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٧٠-٧٧؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١١٥.

[١٠٦] انظر عمر سعيدان، مرجع سابق، صفحات متفرقة. Hill Garth, op. cit., p. 298.

[١٠٧] مرشانه، من حصون المرية،انظر، الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٢.

[١٠٨] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣٣٠؛ عبد الرحمن الحجي، مرجع سابق، ص ٥٤١.

[١٠٩] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٧٤؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١١٦.

إسماعيل بن يوسف الذي يكنى أبا الوليد [١١٠]. يوم ٢٩شوال ٧١٣هـ / سبتمبر١٣١٣م[١١١]. وكان رئيس جنده . قائد الجيوش . أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق مشاركاً له في النعمة . السلطة . ضارباً بسهم في المنحة[١١٢].

لم يكن هذا التعيين إلا اعترافاً بكفاءته للأمر لدرجة تَحَمُل بني الأحمر للجفوة مع بني مرين في مقابل عدم تسليم قائدهم المظفر عثمان بن أبي العلاء. [١١٣] متولى قيادة الجيش الغرناطي الذي بعده إسماعيل بن فرج أبي الوليد الذي تميز عصره بإحياء الجهاد ضد النصارى[١١٤] لخوض هذه المعارك خاصةً وأن القشتاليين استولوا على عدة حصون وقواعد، وهزم الجيش الغرناطي بوادي خرتونه ضاحية وادي آش عام ٧١٦هـ /٣١٦م وكانت هزيمةً فادحةً قتل فيها عدد كبير من المسلمين واستولى العدو الصليبي بعدها على حصن قنبيل .

وأمام هذه الضغوط بادر السلطان إسماعيل بن فرج سلطان غرناطة بطلب الغوث والإمداد من السلطان أبي سعيد سلطان المغرب، فتخاذل عن معاونته، وطالب بتسليم عثمان بن أبي العلاء لما كان منه في حق بني مرين، فأبى إسماعيل بن فرج سلطان غرناطة خشية العواقب،[١١٥] وزحف القشتاليون على غرناطة بجيش عظيم، يقوده الدون بيدرو ومعهما عدة من الأمراء القشتاليين، وفرقه من المتطوعة الإنجليز بقيادة أمير إنجليزي، فبادر المسلمون إلى لقائهم في هضبة البيرة على مقربة من غرناطة، وكان الجيش الغرناطي لا يتجاوز ستة أو سبعة آلاف جندي منهم نحو ألف وخمسمائة فارس، ولكنهم صفوة المقاتلة المسلمين، وكان قائده شيخ الغزاة أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء، فلم ترعه كثرة الجيش المهاجم وعول في الحال على لقائه في معركة حاسمة . وفي ٢٠من ربيع الثاني عام ٧١٨هـ/ مايو عام ١٣١٨م التقى فرسان الأندلس بطلائع النصارى ورد وهم بخسارة فادحة. ثم زحف أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء في نخبة من جنده، ونشبت بين الفريقين موقعة شديدة، كانت الدائرة فيها على

---

[١١٠] إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف يكنى أبا الوليد،كان جميل الخلق،كثير الحياء، عاصر ملوك المغرب الذين اختلفوا معه لاحتلاله مدينة سبته عن طريق عثمان بن أبي العلاء مما جعله في مواجه نصارى الأندلس فعرضه لعدة هزائم،واغتيل عام ٧٢٥هـ/١٣٢٤م.للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٨٧-٨٨.

[١١١] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٧٤؛ عبد القادر زمامة، أبو الوليد ابن الأحمر، ص٢٤؛ محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص ١١٦.

[١١٢] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٨٠.

[١١٣] كمال شبانه، مرجع سابق، ص ٤٦؛ يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية(بيروت ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م)، ص ٤١.

[١١٤] محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص ١١٧.

[١١٥] السلاوي، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠١.

القشتاليين، فمزقوا شر ممزق، وقتل منهم عددٌكبير يقال ستون آلفاً[١١٦] بينهم دون بيدرو ودون خوان، ورهط كبير من الأمراء والنبلاء والأخيار؛ وغرق منهم عند الفرار في نهر شنبل عدد كبير وأسر منهم بضعة آلاف، واستمر القتال والأسر فيهم ثلاثة أيام. [١١٧]

وكان نصراً مشهودا أعاد ذكرى الجهاد المجيد، وكان معظم الفضل في إحرازه يرجع إلى الجند المغاربة وإلى شيوخهم بني العلاء الذين تزعموا الجيوش الأندلسية، ووضع المسلمون جثة الدون بيدرو في تابوت من ذهب على سور تنويهاً بالنصر، وتخليداً لذكرى الموقعة.[١١٨] ويقول ابن خلدون " ونصب رأس بطره (بيرو) بسور البلد عبره لمن يذكر".[١١٩]

وزادت مكانة عثمان بن أبي العلاء في السلطنة الغرناطية، وزادت قوة مشيخة الغزاة لدرجة وجود عدة خطابات مرسلة إلى مملكة أراجون توطد العلاقة لعدم تدخلهم في هذه المعركة إلى جانب أخوانهم النصارى، [١٢٠] وكانت هذه المعركة من أكبر المعارك التي خاضها شيوخ الغزاة، وبعدها بدأت المشاكل مع شيوخ الغزاة، السلطة الحاكمة بغرناطة .

واستمر عثمان بن أبي العلاء شيخاً للغزاة يعطي كل ما لديه من خبرة في قتال النصارى إلى أن توفى عام ٧٢٩هـ /١٣٢٩م [١٢١] بعد أن أبلى في سبيل نصرة المسلمين والأندلس البلاء الحسن . فقام إسماعيل بن فرج سلطان الأندلس بتعين ولده أبي ثابت عامر، فاستمر يمارس سلطان أبيه ونفوذه، وتدخله في شؤون الدولة، وكان يؤازره إخوانه إدريس ومنصور وسلطان، وبدأ ابن الأحمر يتبرم من تدخلهم واستبدادهم [١٢٢]. لذلك منهم من هرب من الأندلس وآخرون إلى أفريقية وتم تعين إدريس بن عثمان بن أبي العلاء[١٢٣]والذي استطاع استرجاع حصن بني بشير، وحصني الصخرة [١٢٤] والسهلة من نصارى قشتالة،[١٢٥] ولكن دخلت نفوس مريضة جعلت السلطان الغني بالله يقبض على إدريس بن أبي العلاء وقرابته من الغزاة،

---

[١١٦] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٦٥.

[١١٧] Hill Garth, op. cit. , p. 323.

[١١٨] ابن خلدون، العبر، ج، ٧ص٢٤٩؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٥٠.

[١١٩] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٣٣١.

[١٢٠] عمر سعيدان، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠- ٤٣؛ حكمال شبانه، مرجع سابق، ص ٣٢- ٣٣.

[١٢١] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٣، قيل إن عثمان بن أبي العلاء شهد ٢٣٤ غزوة. انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٦٥.

[١٢٢] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٣.

[١٢٣] نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٩٧، ٤٩٨.

[١٢٤] الصخرة، حصن صغير على نهر مرسية بالأندلس. انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥٥.

[١٢٥] ابن الخطيب، نفاضة الجراب المغرب، ج ٣، ص ١١٦.

وأُودعوا بالسجن بمكناسة، وقتل خنقاً عام ٧٧٠هـ /١٣٦٨م[١٢٦] ومحا خطة مشيخة الغزاة من بني مرين ، وأسندها لابنه وولي عهده الأمير يوسف، فلبث مضطلعاً بها زهاء ثلاثة أعوام . وكان علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو مقدماً على مشيخة الغزاة في منطقة وادي آش، وكان حينها الغني بالله فقد ملكه عام ٧٦٠هـ / ١٢٥٨م فخرج إلي واد أش، ولما عاد إلى الحكم مرة أخري، عاد معه علي بن بدر، فلما فكر الغني بالله في إحياء مشيخة الغزاة، وبحث عمن يسندها إليه فوقع اختياره على علي بن بدر الدين هذا، فعينه فيها عام ٧٦٧هـ /١٣٦٥م، ولكنه ما لبث أن توفى بعد عام واحد من تقلده إياها، فعندئذ قرر الغني بالله أن يمحو هذه الخطة نهائيا من خطط مملكته، وصار أمر الغزاة والمجاهدين إلى السلطان مباشرة، حيث عني بشئونهم بنفسه.[١٢٧]

دور شيوخ الغزاة السياسي:

وكما لعب شيوخ الغزاة الدور الكبير في حركة الجهاد، لعبوا نفس الدور في الحركة السياسية بين الدولتين بني الأحمر وبني مرين، حيث نلاحظ أن دورهم استخدم لتخليص حسابات بين الدولتين إلى جانب أطماع شخصية، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل في الصفحات التالية .

عندما قامت دولة بني مرين واستولى أبو يعقوب أبي يوسف على السلطة وجد له منافسين من نفس العائلة إلى جانب أبناء عمومتهم بني وطاس، يضاف إلى ذلك فرسان بني مرين الباحثين عن السلطة، وكذلك مغامرين ممن تكاد أرضهم أن تزهد فيهم . فما كان أمام سلطان المغرب من أمر إلا إبعادهم عن الوطن الأم إلى الأندلس، ولكن هذا لم يمنعهم من الدخول للمغرب منتهزين أي فرصة لفرض تواجدهم خاصةً وأن المغرب الأقصى في عهد بني مرين دخل في كثير من المتاعب السياسية.لذلك وجد شيوخ الغزاة المقيمون في الأندلس فرصةً للتدخل واعلان ثورتهم على النظام القائم.

أ – ثورة عثمان بن أبي العلاء :

استغل بنو الأحمر شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء في تصفية حساباتهم مع السلطة المرينية مستغلين رغبة عثمان في المطالبة بحقه في سلطة بني مرين، فادعى بنو الأحمر أن سبته في طريقها للوقوع في أيدي الأرجوانيين، وقد كان سكانها يعانون من سوء الأحوال المعيشية، نظراً

---

[١٢٦] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٦.

[١٢٧] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٤٢؛ إبراهيم حركات، مرجع سابق، ج ٢، ص٧٧، ١١٦

لقطع أبي يعقوب عنهم سبل العيش[١٢٨]. لذلك جهز محمد المخلوع وابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل حملة بقيادة عثمان بن أبي العلاء من مالقه يوم ٢٧شوال عام ٧٠٥هـ /١٢مايو ١٣٠٦م، وقد تمكنت الحملة من الاستيلاء على سبته، ورحب سكانها بانضوائهم تحت لواء بني الأحمر، ونقلوا أسرة بني العزفي إلى مالقه، ومنها إلى غرناطة واستقبلهم بنو الأحمر[١٢٩] . وفي ذلك يقول ابن خلدون " قدموا إلى ابن الأحمر فأجلّ قدومهم، وأركب الناس إلى لقائهم وقضوا وقادتهم، وأنزلوا بالقصور، وأجريت عليهم سنية الأرزاق، واستقروا بالأندلس إلى أن صاروا بعد إلى المغرب "[١٣٠].

وبمجرد خروج القوات الأسبانية من مالقه ، قام حاكمها أبو سعيد، بتحصين منافذها وتنظيم أمورها، [١٣١] وأقام دعوة ابن عمه محمد المخلوع، وساعده في ذلك عثمان بن أبي العلاء الذي كان يطمع في الاستيلاء على الحكم ببلاد المغرب الأقصى بمساعدة بني الأحمر من أيدي المرينيين، [١٣٢] وعندما وصلت أخبار استيلاء بني الأحمر علي سبتة، كان السلطان يوسف بن يعقوب محاصراً تلمسان، فعظم عليه الأمر، فبعث ولده الأمير أبا سالم إبراهيم في جيش كثيف لاسترداد سبته . وعندما وصلها شدد عليها الحصار؛ ولكنه رجع مهزوماً فغضب عليه والده. [١٣٣] ولم يسعف الوقت السلطان يوسف بن يعقوب في القضاء على هذه الثورة، بسبب قتله على يد أحد الخصيان في السابع من ذي القعدة عام ٧٠٦هـ /١٣٠٧م [١٣٤] .

وعلي أثر مقتل السلطان يوسف بن يعقوب حدث صراع على السلطة بين أبي سالم وأخوة أبي ثابت، ونشبت حرب أهلية بينهما، انتصر فيها أبو ثابت، وفر من كان مع أبي سالم

---

[١٢٨] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٨٧.

[١٢٩] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٨٧؛ ابن الأحمر، نثر فرائد الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت١٩٧٦)، ص ٣٨؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٨٢.

[١٣٠] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٢٩.

[١٣١] نفس المصدر والجزء والصفحة.

[١٣٢] ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، (القاهرة د.ت) ص ٢٢؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (الكويت ١٩٨٥) ، ص ٩٠.

[١٣٣] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٨٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٣٠٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٨٢.

[١٣٤] بن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٨٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١ص٥٥؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣٠٨ ؛ ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج٣ ،(القاهرة ١٩٧٤) ص ٨٠؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٨٥.

وانضموا إلى عثمان بن أبي العلاء بسبته، [١٣٥] وتحرك عثمان في نواحي سبته، وبلاد غمارة وتغلب على مكناسة وأصيلا، [١٣٦] والعرائش[١٣٧] وانتهى إلى قصر كتامة،[١٣٨] وأعلن نفسه سلطاناً على بلاد المغرب [١٣٩]. وجمع السلطان أبو ثابت شيوخ بني مرين والعرب للتشاور معهم في أمر تلمسان، فأشاروا عليه بفك حصارها والرحيل عنها، والتحرك من أجل القضاء على ثورة عثمان بن أبي العلاء، ونشر الأمن والأمان بين سكان المغرب[١٤٠].

وفي نهاية عام ٧٠٧هـ /١٣٠٨م استعَد السلطان أبو ثابت لحصار سبته بجيش جرار بقيادة الحسن بن عامر بن عبد الله يوسف، ولكن عثمان بن أبي العلاء استطاع هزيمة جيش بني مرين، ونتيجة لذلك بايعت القبائل عثمان بن أبي العلاء،[١٤١] وهلك الكثير من الجيش المريني، وعلى أثر هذه الهزيمة استولى عثمان بن أبي العلاء على البلاد المحيطة بقصر كتامة[١٤٢].كما انضمت إلى عثمان بن أبي العلاء القبائل الهاربة من بطش السلطان أبي ثابت، وهم ذوو الطماع والراغبين في السلطة، مثل يعيش بن يعقوب أخو السلطان أبي ثابت، وابن عمه عثمان بن أبي العلاء، والعباس بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، ومسعود بن الأمير أبي مالك، وأعطى كلُ هؤلاء قوةً لعثمان بن أبي العلاء مما جعله يتحدى السلطة المرينية،

---

[١٣٥] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ص ١٣٠.

[١٣٦] أصيلا: مدينة كبيرة بها آثار عامرة وكثيرة الخصب، ولها مرسى يرتاده التجار، وهي أول مدن المغرب من جهة الغرب، تقع على البحر المتوسط، ويقام بها سوق كبير ثلاث مرات في السنة، ويفد عليها التجار بأنواع عدة من السلع. للمزيد انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٤٢؛ الحسن الوزان، وصف أفريقية، ج١، ص ٣١١- ٣١٣.

[١٣٧] العرائش: مدينة أسسها الأفارقة، على شاطئ المحيط الأطلنطي عند مصب نهر اللكوس، وهي واقعة على أحدى ضفاف النهر بها غابات كثيرة.للمزيد انظر، الحسن الوزان، وصف أفريقية، ج ١، ص ٣٠٢.

[١٣٨] قصر كتامة: هو الذي يعرف بالقصر الكبير، أسس في عهد المنصور الموحدي، ويجرى بجوار القصر نهر اللكوس، ويكثر بهذا القصر الصَناع والتَجار، وبه عدد من الجوامع ومدرسة ومارستان، وأهل القصر كرماء لباسهم حسن، وخارج القصر حدائق كثيرة وأرض بها ثمار مثل العنب، ولها سوق يعقد يوم الاثنين يفده أعراب النواحي المجاورة، ويبعد القصر عن مدينة أصيلا بثمانية عشر ميلا. للمزيد انظر الحسن الوزان، وصف أفريقية، ج١، ص ٣٠٣-٣٠٥؛ عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ص ٣٢٠.

[١٣٩] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٨٩، ابن خلدون، العبر، ج ٧ ، ص ٣٠٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج٣ ، ص٨٣؛ الحريري، مرجع سابق، ص ٩٣.

[١٤٠] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٨٩- ٣٩٠؛ إبراهيم حركات، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٠.

[١٤١] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٣١٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٥؛ الحريري، مرجع سابق، ص ٩٥.

[١٤٢] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٣١٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٥.

والسلطان أبو ثابت يجمع قواه حتى أكتمل وتحرك على رأس جيش متجه إلى بلاد غمارة[١٤٣]. وعندما علم عثمان بحجم قوات أبي ثابت على المدن التي فر منها عثمان بن أبي العلاء بدأ في انشاء مدينة تطاوين [١٤٤] القريبة من سبته لإحكام السيطرة عليها [١٤٥] ،وفرق السلطان أبو ثابت جنوده في نواحي سبته يشنون الغارات ويخربون الزروع من التدميرملوارد سبتهَ حتى يضعف أمر الثوار[١٤٦]. وعندما أحس أبو ثابت بخطورة الموقف، أرسل وفداً بقيادة أبي يحيى ابن أبي الصبر إلى سلطان غرناطة محمد المخلوع ليفاوضه في ضم سبته إلى الدولة المرينية كما كانت لأنها ضمن المغرب الأقصى، [١٤٧] ثم توفى السلطان أبو ثابت وهو ينتظر قدوم وفد غرناطة في عام ٧٠٨هـ /١٣٠٨م [١٤٨].

وقد تولى السلطان أبو الربيع حكم الدولة المرينية في نفس يوم وفاة أخيه، وعاد السلطان أبو ربيع إلى فاس لتنظيم قواته للقضاء على هذه الثورة، والتي استفحل أمرها لدرجة خروج عثمان بن أبي العلاء بما انضم إليه من قبائل لمهاجمة السلطان أبو الربيع، والتقى الجمعان بساحة علودان، [١٤٩] واشتدت رحى الحرب بين الطرفين؛ ولكن عثمان بن أبي العلاء هرب من الميدان وأُسر ولده وجماعةٌ من عسكره وقتل منهم خلقٌ كثيراً[١٥٠] .

ووصل في نفس الوقت سفير السلطان أبي ثابت من غرناطة بعد أن أنهى مهمته بنجاح، وعقد صلحاً مع ابن الأحمر، فيئس عثمان بن أبي العلاء من إحراز أي نصر ضد القوات

---

[١٤٣] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٣١٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٥؛ الحريري، مرجع سابق، ص ٩٥.

[١٤٤] تطاوين، مدينة صغيرة بناها الأفارقة على بعد ثمانية عشر ميلاً من مضيق جبل طارق، هاجمها البرتغاليون عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وجدد بنائها قائد أندلسي جاء إلى فاس، وشيد بها حصن وبني عليها سور أحاطه بخنادق. للمزيد انظر الحسن الوزان، وصف أفريقية، ج ١، ص ٣١٨-٣١٩.

[١٤٥] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٩٢، ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣١٣؛ السلاوي، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٦؛ الحريري، مرجع سابق، ص ٩٥.

[١٤٦] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣١٤.

[١٤٧] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣١٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٩٢؛ السلاوي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٩٦.

[١٤٨] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٣٩٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣١٧؛ السلاوي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٩٦.

[١٤٩] ابن خلدو،ن، العبر، ج ٧، ص ٣١٤؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٧.

[١٥٠] بن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٩٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٣١٤؛ ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص٢٣؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٧.

المرينية، وبالتالي عبر عثمان بن أبي العلاء إلى الأندلس فيمن معه من القرابة ولحق بغرناطة[١٥١].

ولم تكن هذه هي الثورة الوحيدة التي قام بها شيوخ الغزاة ضد السلطة الحاكمة، بل قام عثمان بن أبي العلاء بثورة أخرى في غرناطة للحفاظ على هيبتهم، وعدم التدخل في شؤون المشيخة التي كان يتركها بظيهر – قرار – يوقعه ابن الأحمر ويصادق عليه عادةً سلطان المغرب[١٥٢] لذلك كان شيوخ الغزاة يرفضون أي تدخل في شؤونهم، وإن جرى ذلك تقع الثورة وهذا ما جرى .

ب – فتنة عثمان بن أبي العلاء بغرناطة :

نشبت فتنة بين الوزير محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق، [١٥٣] وعثمان بن أبي العلاء شيخ الغزاة في ٧٢٧هـ /١٣٢٦م، حيث حاول الوزير محمد المحروق فرض سيطرته عليه كما فرضها على السلطان، [١٥٤] بمنع أي اتصال بالسلطان محمد بن إسماعيل الغرناطي إلا عن طريقه، كما منع رجال شيوخ الغزاة من دخول المدينة، وتطاول الوزير بان عزل عثمان بن أبي العلاء، وقَدم عليه يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الحق بدلا منه ([١٥٥])، وقد أدي طل هذا بطبيعة الحال إلي إشعال الفتنة .فخرج عثمان بن أبي العلاء ولحق بالمرية،[١٥٦] حيث مقر

---

[١٥١] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣١٤؛ ابن الخطيب؛ كناسة الدكان، ص ٢٢؛ الإحاطة، ج ٣، ص ٥٣٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٧–٩٨.

[١٥٢] المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٢٧؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٧٦.

[١٥٣] محمد بن أحمد بن محمد الأسعردي المعروف بابن المحروق، ولد عام ٦٧٢هـ /١٢٧٣م ونشأ محباً للفضائل، وترقى في المناصب إلى أن تولى الوزارة في دولة محمد بن أبي الوليد، وأخذ في إبعاد كبار الدولة مثل عثمان بن أبي العلاء الذي خرج من غرناطة إلى آندرش، وساءت العلاقة بينهما إلى أن أقدم محمد بن أبي الوليد لقتل وزيره عام ٧٣١هـ /١٣٣٠م.للمزيد انظر ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق ج ٣، ص ٢٢١.

[١٥٤] محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ويكني أبا عبد الله،كان شجاعاً معدوداً من نبلاء الملوك،أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه عام ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، وأول عمل قام به غزا مدينة قبرة من أعمال قرطبة ودخلها عنوة وانتصر علي نصارى قشتالة،كما غزا حصن قشرة من نواحي طليطلة،كما فتح جبل الفتح،وطرد الغازي القشتالى منه، لكن وقعت أحداث سيئة بين وزيرة وشيخ الغزاة عثمان مما أضطره إلي قتل وزيره المتغلب وسبب الاضطراب بينه وبين شيخ الغزاة،واستقام الأمر ،ولكن الأمر لم ينته حيث قتل علي يد شيخ الغزاة عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م.للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٠– ٩٧..

[١٥٥] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٢٩٦.

[١٥٦] المرية، مدينة كبيرة من أعمال كورة البيرة من الأندلس، وتقع على ساحل البحر المتوسط، ومنها يركب التجار إلى الآفاق، ويعمل بها الوشي والديباج الذي يصدر إلى كافة بلدان العالم، وميناؤها يشحن بالسفن لغزو الإفرنج، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن المرابطي، ويمر بها وادي بجانة يعم بالسقي

المشيخة وبها جيشه، واعتصم بحصن أندرش،[١٥٧] وبدأ يدعو للثورة على الوزير، فاستجاب له السكان المجاورون للحصن، وبعث في استدعاء عم السلطان محمد فرج بن إسماعيل الذي كان منفياً في تلمسان، ودعا له بالسلطة، فقدم محمد بن فرج على وجه السرعة في صفر عام ٧٢٧هـ /١٣٢٦م، وبذلك استفحلت الفتنة، ونشبت حروب بين الفريقين . وفي ذلك يقول ابن خلدون " ودعا محمد بن الرئيس أبي سعد من شلوبانية كان منزلا بها، فجاء إليه، ونصَبه للأمر، وشن الغارات على غرناطة صباحاً ومساءً، واضطرمت نار الفتنة "[١٥٨] وكالعادة اغتنم القشتاليون فتنة المسلمين فخرجوا في شعبان في نفس العام واستولوا على ثغر وبرة، وجملة من الحصون التي تجاوره [١٥٩].

ولما تفاقم خطر القشتاليين آثر السلطان محمد بن إسماعيل التفاهم مع الثوار، وترددت الرسائل بينه وبين عثمان بن أبي العلاء، وانتهت بعقد هدنة بينهما، وبرجوع عثمان بن أبي العلاء للطاعة، ثم قتل الوزير محمد بن أحمد المحروق بأمره، في بداية عام ٧٢٩هـ /١٣٢٨م [١٦٠] المتسبب في إشعال نار الفتنة [١٦١] . وفي ذلك يقول ابن خلدون: " استدعى عثمان بن أبي العلاء، وعقد له السلم على أن يجيز عمه إلى المغرب، ويلحق بغرناطة لشأنه من رياسة الغزاة، فتم ذلك سنة تسع وعشرين وسبعمائة ورجع إلى مكانه من الدولة"[١٦٢]. ومن الواضح أن عثمان بن أبي العلاء استخدم عم السلطان كورقة ضغط على السلطان في مقابل التخلص من ابن المحروق لذلك رده إلى تلمسان بدون أدنى مشكلة، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: " وعبر هذا الأمير. رحمه الله .إلى البحر بنفسه مستصرخاً ومستدعيا للجهاد"[١٦٣].

ومن الواضح أن قتل السلطان لوزيره ترك أكبر الأثر في نفسه، حيث بدأ يتوعد رؤساء جند المغاربة المتطاولين عليه كلما استفحل أمرهم، وتدخلوا في تصرفاته، لذلك تجرأ بشراهة

بساتين المرية، ويحدها البحر من الجهة القبلية، وبقصبتها حصن منيع يمتد من الشرق للغرب، وله باب قبلى يفضي للمدينة، ويقصد المرية مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالاً، ويحاط بالمدينة سور، ولها عدة أبواب، وفيها ألف فندق إلا ثلاثين. للمزيد انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٥، ص ١١٩؛ الحميري؛ الروض المعطار، ص ٥٣٧ –٥٣٨.

[١٥٧] أندرش، مدينة من أعمال المرية، وهي من أحسن مدن المرية. انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٤٢.

[١٥٨] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٣.

[١٥٩] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٣.

[١٦٠] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٤.

[١٦١] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٣–٩٤.

[١٦٢] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٣.

[١٦٣] اللمحة البدرية، ص ٩٤.

لسانه، [١٦٤]؛ ومن جراء ذلك نجد بعض المؤرخين يشير إلى ما جرى للجند المغاربة من جراء هذه الإهانة والتدخلات مثل ابن الخطيب الذي أشار إلى مؤامرة اغتياله فيقول: " وقد أخذت على حركته المراصد،فلما توسط كمين القوم ثاروا إليه وهو راكب بغلاً أثابه به ملك الروم فشرعوا في عتبه بكلام غليظ، وتأنيب قبيح، وبدءوا بوكيله فقتلوه، وعجل بعضهم فطعنه... وتركوه بالعراء مسلوب الساتر سيء المصرع...فكانت وفاته صحوة يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي حجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة "[١٦٥].

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل زاد تدخل بني أبي العلاء في شئون الدولة خاصة من قبل أبي ثابت عامر الذي استمر في ممارسة سلطات أبيه ومحاولة بسط نفوذه على مقاليد الحكم بغرناطة، وكان يؤازره في ذلك أخوانه إدريس ومنصور وسلطان، وبقية العائلة . ولدورهم الكبير في الجهاد أصبح لهم طموحات، فكانوا يتدخلون بآرائهم في حل الكثير من المشكلات والأزمات؛ وقد أدى ذلك إلى النزاع مع سلطان غرناطة. وفي ذلك يقول ابن خلدون: " وعقد السلطان أبو عبد الله بن أبي الوليد له . أبو ثابت عامر بن عثمان بن أبي العلاء . على الغزاة المجاهدين كما كان أبوه، فمعظم شأنه قوة وشكيمة وكثرة عصابة ونفوذ رأي وبسالة . وكان لقومه اعتزاز على الدولة، بما عجموا من عودها، وكانوا أولي بأس وقوة فيها واستبداد عليها، وكان السلطان محمد بن أبي الوليد مستنكفاً عن الاستبداد عليه في القلة والكثرة، فكان كثيرًا ما يخرقهم بتسفيه أرائهم والتضييق عليهم في جاههم"[١٦٦] فتبرم محمد بن إسماعيل من استبدادهم وتطاولهم، وخاطب في شأنهم السلطان أبا الحسن المريني عند زيارته له عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، بوصفه شبه مسئول عن مشيخة الغزاة بالأندلس،[١٦٧] وطلب من أبي الحسن إيجاد حل للخلاص للخلاص منهم، ولما بلغهم الخبر خشوا أن يفتك بهم بالتعاون مع أبي الحسن المريني، فصمموا على الخلاص منه[١٦٨].

بعد أن أقلع الفونسو من جبل الفتح منهزما قفل السلطان محمد بن إسماعيل راجعا إلى العاصمة غرناطة، فترصد له أبناء أبي العلاء في الطريق بموضع يعرف بوادي السقائين، وهجمت عليه مجموعة منهم،وكان راكباً بغلاً أهداه إليه الفونسو عند مقابلته له بجبل الفتح، وبدأوا في تأنيبه، ثم وثب عليه مملوك من مماليك أبيه كانوا أحضروه لذلك، وطعنه ثم تناوله

---

[١٦٤] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٦؛ محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص ١٢٤.

[١٦٥] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٧.

[١٦٦] العبر، ج ٧، ص ٤٩٣.

[١٦٧] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٧٦.

[١٦٨] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٣؛ محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص ١٢٥.

الباقون بالرماح طعناً حتى قضوا عليه في ١٧ ذي الحجة عام ٧٣٣هـ /١٣٣٣م وفر الجناة بعد أن تركوه بالعراء مسلوباً سيء المصرع، ثم قام أبناء أبي العلاء بإحضار أخيه وبايعوه[١٦٩]. ويقول ابن خلدون في ذلك: " فتبادروا إليه ولقوه بطريقه من ساحل اصطبه[١٧٠]، فلاحُوه وعاتبوه في شأن صنيعته عاصم من معلوجيه، وحاجهم عنه، فاعتوروا عاصماً بالرماح فنكر ذلك عليهم، فألحقوه به، وخر صريعاً عن مركوبه، وبعثوا إلي أخيه يوسف[١٧١] فأعطوه بيعتهم"[١٧٢].

وهكذا نرى أن شيوخ الغزاة في الأندلس، بقدر ما حققوه من انتصارات لبني الأحمر في ميادين الجهاد،بقدر ما أصبحوا شوكةً في حلق بني الأحمر يحسب لها ألف حساب . ورغم دور مشيخة الغزاة في تولية أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل، إلا أنه أخذ في تتبع بني أبي العلاء قتلة أخيه، وجردهم من وظائفهم ومزق عصبتهم، وقبض على شيوخهم في ٢٩ربيع الأول عام ٧٤١هـ /١٣٤٠م، وكان ذلك في نفس الوقت تحقيقاً لرغبة السلطان أبي الحسن، حيث يقول ابن خلدون " وتقبض على أبي ثابت وإخوته إدريس ومنصور وسلطان، وفر أخوهم سليمان فلحق بالطاغية ....وأودعهم جميعاً المطبق أياماً ، ثم غربهم إلى أفريقية، فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى، وأوعز إليه السلطان أبو الحسن بالتوثيق منهم أن يتصلوا بنواحي المغرب ويخالفوه إليها أيام شغله بالجهاد في الأندلس "، [١٧٣] ولما نزلوا على سلطان تونس أبي يحي الحفصي، طالب السلطان أبو الحسن بتسليمهم، فأرسلهم إليه أبو يحيى؛ ولكن

---

[١٦٩] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٤؛ محمد عبد الله عنان، لسان الدين ا بن الخطيب حياته وتراثه الفكري (القاهرة ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م)، ص ٢٥.

[١٧٠] اصطبه مدينة بالأندلس علي بعد ٢٥ ميلا من قلشانة قاعدة شذونة إلي قرطبة أربعة أيام.انظر الحميرى، الروض المعطار، ص٤٥.

[١٧١] يوسف بن إسماعيل بن فرج ويكني أبا الحجاج، تولي السلطة بعد مقتل أخيه عام ٧٣٤هـ/١٣٤٢م وعمرة ١٥ عاماً ،وكان رئيس جنده المغربي أبو ثابت عامر بن عثمان بن أبي العلاء،واستمر إلي أن غدر بابي ثابت وأخوته،وعين بدلا منه يحي بن عمر بن رحو، وكان الغالب علي عهده الهدنة مع العدو، الذي استولي علي طريف،والجزيرة الخضراء،وقلعة يحصب،واستمر في الحكم إلي أن اغتيل وهو يصلي عيد الفطر عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. للمزيد انظر ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٠٢-١١٠.

[١٧٢] العبر، ج ٧، ص ٤٩٤.

[١٧٣] العبر، ج ٧، ص ٤٩٤.

مع طلب الشفاعة لهم، عفا عنهم أبو الحسن، وأكرم مقاهم مدى حين، ولكنه عاد فقبض عليهم بتهمة التآمر عليه، واعتقلهم بمكناسة[١٧٤] عام ٧٤٣هـ /١٣٤٢م[١٧٥] .

غير أن شيوخ الغزاة لم يستمرا في سجنهم بمكناسة فسرعان ما توفى السلطان أبو الحسن عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م وتولى ابنه أبو عنان المريني حتى أطلقهم من سجنهم وأفاض فيهم الإحسان، وأخذ في تعيينهم بالمغرب الأقصى، إلا إدريس الذي رحل للأندلس وتولى مشيخة الغزاة بها فيما بعد.[١٧٦]

وعهد السلطان أبو الحجاج بمشيخة الغزاة، بعد اسحق بني أبي العلاء إلى شيخ أخر من قرابة بني مرين هو يحيى بن عمر بن رحو،[١٧٧] فاضطلع بها على خير وجه، [١٧٨] واستمر في المشيخة مدةً طويلة إلى أن تم القبض عليه بتهمة موالاته للسلطان المخلوع، مع كل حاشية سلطان غرناطة إسماعيل بن يوسف الذي قتل عام ٧٦١هـ /١٣٥٩م، وقد تولى مكانه إدريس بن عثمان بن أبي العلاء بموجب الظهير –القرار– الصادر عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م[١٧٩] والتي لم يستمر بها طويلا فسرعان ما غدر به السلطان إسماعيل وأودع إدريس ومن معه من شيوخ الغزاة السجن بإشبيلية، ولم يزل في أسره إلى أن تحايل في الفرار بمداخلة مسلم أسير أعد له فرساً إزاء

---

(١٧٤) مكناسة، مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة فسميت باسمها، وتبعد عن فاس بنحو ستة وثلاثين ميلا، وعن الأطلس بخمسة عشر ميلا، وتقع على سهل بديع ويمر بالقرب منها نهر صغير، وتحيط بها الحدائق، ويكثر بها أنواع عدة من الفاكهة خاصة العنب، كما يزرع بها الزيتون بوفرة، لذلك أطلق عليها مكناسة الزيتون والذي يُصدَر زيته إلى الأفاق. ويقام عليها سور عظيم، وهي مدينة حصينة جداً ويكثر بها الحمامات والأسواق والمساجد. لمزيد انظر الحسن الوزان، وصف أفريقية، ج ١، ص ٢١٤–٢١٦.

(١٧٥) العبر، ج ٧، ص ٤٩٤؛ محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(١٧٦) ابن خلدون، العبر، ٧، ص٤٩٤؛ ابن الخطيب،ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٨١م)، ج ٢، ص٦٩–٧٠.

(١٧٧) يحيى بن عمر بن رحو: تنقل ما بين الأندلس وافريقية أثناء أزمة سبته في عهد شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء، ولما رجع عثمان إلى الأندلس اصطفاه عثمان وزوج يحيى لابنته، وقربه له وعندما وقعت الفتنة بين الوزير محمد ابن المحروق، وبني أبي العلاء انضم يحيى بن عمر بن رحو لصف الوزير وعقد له على مشيخة الغزاة واستمر يحيى بن عمر إلى أن هلك الوزير الغرناطي، فرجعت المشيخة لعثمان، وولى عثمان قيادة المشيخة بوادي آش ليحيى بن عمر بن رحو، ولما قبض على بني أبي العلاء اختير يحيى لمشيخة الغزاة. انظر ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ٤٩٥، ٤٩٦؛ ابن الخطيب،ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج ٢، ص ٦٤–٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج٤، ص ٢١٦.

(١٧٨) ابن خلدون،العبر، ج ٧، ص ٤٩٦؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٢٥.

(١٧٩) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٦؛ ابن الخطيب؛ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج ٢، ص ٦٩–٧٠؛ اللمحة البدرية، ص ١٣٠.

معتقله ففك قيده ونقب البيت،وامتطى فرسه ولحق بأرض المسلمين عام ٧٦٦هـ /١٣١٤م حيث جاء إلى السلطان أبي عبد الله محمد المخلوع فأكرم وفادته، ثم استأذنه في الرحيل للمغرب الأقصى، وبمجرد وصوله لها قبض عليه بوشاية من عمر بن عبد الله وألقي في السجن بمكناسة ثم نقله السلطان عبد العزيز إلى سجن بفاس ثم قتلوه خنقاً عام ٧٧٠هـ /١٣٦٨م [١٨٠].

ولما فر إدريس بن عثمان على إمارة الغزاة بعده علي بن بدر الدين، وذلك بموجب الظهير الصادر عام٧٦٧هـ /١٣١٥م[١٨١] في زمن ترك فيه سلاطين بني مرين واجبهم نحو الأندلس، ففي ذلك يقول ابن خلدون " وشغل بنو مرين أيضا بعد مهلك السلطان أبي الحسن وتناسوا عهد الغلب على أقتالهم وجيرانهم، وتناسوا عهد ذلك أجمع"، [١٨٢] ولم يستمرعلي بن بدر أكثر من سنة سنة حيث توفى عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، [١٨٣]وعندئذ قرر السلطان الغني بالله الغرناطي تعيين عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوسن بن السلطان أبي علي، على مشيخة الغزاة . ولكن هذا العمل أغضب السلطان عبد العزيز المريني، مما اضطر السلطان الغني بالله إلي إرسال وزيره ابن الخطيب لشرح الأمر . ولكن السلطان عبد العزيز تبين مكر واحتيال ابن الخطيب عليه في شأن مشيخة الغزاة، مما دفع السلطان الغني بالله من القبض على شيخ الغزاة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره المنفي للأندلس مسعود بن ماسي،وجهز لهما أسطولاً فأجازوا للمغرب ونزلوا بمرس غساسة، [١٨٤]على قبيلة بطويه، [١٨٥] ودعا لنفسه بالسلطة ودارت بين عبد الرحمن بن يفلوسن وسلطان المغرب مشاحنات، أما على ساحة غرناطة قام السلطان الغني بالله بإلغاء مشيخة الغزاة من ملكة، وصار أمر الغزاة إليه وباشر أحوالها بنفسه[١٨٦] . وانتهت بذلك رياسة

---

[١٨٠] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٨.

[١٨١] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج٢، ص ٦٦-٦٩.

[١٨٢] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٥٠٠.

[١٨٣] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٥٠٠؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص١٤٢.

[١٨٤] غساسة، مدينة على البحر المتوسط محصنة جداً بأسوار متينة، لها ميناء حسن، تقصدها سفن الروم والمسلمين، ويعقد بها صفقات تجارية مهمة لأهل فاس. للمزيد انظر الحسن الوزان، وصف أفريقية، ج١، ص ٣٤٢.

[١٨٥] قبيلة بطويه، قبيلة كبيرة مقر تواجدهم بريف المغرب الأقصى، وعلى ساحل البحر المتوسط عند مدينة مليلية وعلى الساحل الغربي لغساسة، وتشمل بطوية على ثلاث بطون هي ورياغل وبقوية وأولاد علي. للمزيد انظر عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ص ٣٣٠.

[١٨٦] ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٥٠٢.

بني مرين لهذه الخطة المهمة من خطط مملكة غرناطة بعد أن اضطلعوا بها زهاء قرن من الزمان .[١٨٧]

ج . موقف ابن الخطيب من شيوخ الغزاة :

عندما غدر السلطان الغرناطي بيحيى بن عمر، المعين بموجب الظهير الصادر من السلطان عبد الله الغني بالله [١٨٨] استطاع الفرار مع أقربائه إلى ملك النصارى بأرض الجلالقة[١٨٩] ومنها إلى بر العدوة . المغرب الأقصى . وترك ابنه عثمان بن يحيى بن عمر بدار الحرب، [١٩٠] وأقام عثمان مدةً من الزمن في خدمة ملك النصارى، وعندما استاء من الغربة، هرب إلى أحد الثغور الأندلسية، وخاطب الوزير المغربي عمر بن عبد الله، في أن يمكنه من بعض الثغور الغربية التي تحت سلطة السلطان المريني . وعرض السلطان المخلوع الغرناطي الأمر على الوزير ابن الخطيب نظراً لعلاقته الحسنة مع الوزير المغربي عمر بن عبد الله، ويقول ابن الخطيب " وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخاصة متأكدة، فوفيت السلطان بذلك من عمر بن عبد الله، وحملته على أن يرد عليه مدينة رنده إذ هي من تراث سلفه، فقبل إشارتي من ذلك " [١٩١].ونزل عثمان بن يحيى ومعه أقاربه، وَمَنَ عليهم بمشيخة الغزاة .

وقام عثمان بن يحيى بدوره في الجهاد، حيث غزا مدينة مالقه مع سلطانه أمير المسلمين محمد أبي الحجاج أبي الوليد حيث تغلب على عدة حصون إلى أن تغلب على قصبتها. [١٩٢] وأصبح بعد ذلك لعثمان بن يحيى دلاله على السلطان، [١٩٣]حيث استخلصه لمشورة. [١٩٤] ولكن نافسه الوزير يومئذ محمد بن الخطيب فسعى فيهم، وأغرى السلطان بهم فتقبض عليهم سنة

---

[١٨٧] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٤٢.

[١٨٨] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج ٢، ص ٧٣ –٧٧.

[١٨٩] الجلالقة، وتنطق جليقية وهي مدينة بناها الروم على سهل رملي، ويزرعون الدخن والذرة، وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق لا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم اعتقاد أن العرق ينعم به الجسد وتصلح أبدانهم، ومدينتهم مبنية بالصخر. انظر الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩.

[١٩٠] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٦، ص ٤٤٣.

[١٩١] ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، أعده للطبع وعلق عليه عدنان درويش، (دمشق ١٩٩٠)، ص ٣١، ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٤٣.

[١٩٢] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤٤٣.

[١٩٣] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣١؛ ا بن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤٤٣.

[١٩٤] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٧، ص ٤٤٤.

٧٦٤هـ/١٣٦٢م، وأودعهم السجن [١٩٥] بقصبة المنكب، [١٩٦] وهذا من تدبير ابن الخطيب الذي أدركته الغيرة من عثمان بن يحيى وأسرته، حيث بدأ يوقع بينهم وبين السلطان ويخيفه منهم على ملكة وسلطته، وأخذ في التدبير حتى نكب بهم وخلا لابن الخطيب الجو، وغلب على هوى السلطان، ودفع إليه تدبير الله، وانفرد بالحل والعقد، [١٩٧]وعقد لمشيخة الغزاة للأمير عبد الرحمن بن يفلوسن ابن عم السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن، عندما توفى علي بن بدر شيخ الغزاة ووافقه على ذلك [١٩٨] السلطان محمد أبي الحجاج الغرناطي، فأصدر ظهيراً – قرلراً –ووقع عليه سلطان المغرب عبد العزيز،[١٩٩] وبهذا العمل قوى ابن الخطيب بتدبير أمور الدولة في غياب سلطان غرناطي، مع ضعف سلاطين بني مرين المسيطر عليهم وزرائهم، والدليل على ذلك يقول ابن الخطيب " وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بني مرين "[٢٠٠] .

حيال هذه السيطرة للوزير عمر بن عبد الله، وجد الأمير عبد الرحمن بن يفلوسن ضيقاً في المغرب به إلى جانب أبناء السلطان أبي الحسن على أبناء عمومهم السلطان أبي علي[٢٠١] فهرب منها مع الوزير مسعود بن ماسى إلى الأندلس عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، [٢٠٢] ونزل على السلطان محمد بن أبي الحجاج، وعلى الوزير ابن الخطيب الذي اصطفاه واستخلصه لنجواه، ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته لدي السلطان وعقد له على الغزاة المجاهدين من زناته مكان ابن عمه علي بن بدر، [٢٠٣]وتولى يفلوسن مشيخة الغزاة عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، [٢٠٤] ولما استبد بالسلطنة المرينية السلطان عبد العزيز غضب من فعل السلطان محمد بن أبي الحجاج من ذلك، [٢٠٥]وبدأ يخاطب الوزير ابن الخطيب المسيطر على الدولة والسلطان في غرناطة، طالباً منه اعتقال الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن والوزير مسعود بن ماسي وكان ذلك عام

---

[١٩٥] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٩٧.

[١٩٦] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٣٠.

[١٩٧] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣١.

[١٩٨] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٤٤.

[١٩٩] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٥٠١.

[٢٠٠] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٢.

[٢٠١] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٤٨.

[٢٠٢] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٢٧.

[٢٠٣] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٤.

[٢٠٤] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٥٠١.

[٢٠٥] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٥٠١.

٧٧٠هـ/١٣٦٨م، [٢٠٦] وإراحة نفسه من شغبهم على أن يكون لابن الخطيب عهد بذلك، وأرسل السلطان عبد العزيز طلباً على يد سفيره وكاتبه أبي يحيى بن أبي مدين إلى الأندلس للوزير ابن الخطيب وأوصاه بالقبض على الأمير عبد الرحمن بن يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسي مصلحة له فقبض عليهما واعتقلهما [٢٠٧].

وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاة السلطان عبد العزيز، فأشار عليه باعتقال الأمير عبد الرحمن بن يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسي، وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره،[٢٠٨]وحمل سلطان غرناطة عليهما إلى أن سطا بهما ابن الأحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز، وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب واظلم وتنكر له . وهرب ابن الخطيب إلى المغرب عند السلطان عبد العزيز[٢٠٩] . ولم تنتهِ فصول المأساة بذلك بل طلب محمد بن أبي الحجاج سلطان بني الأحمر من السلطان عبد العزيز المريني إرسال ابن الخطيب لكونه متهم بالزندقة[٢١٠].

وأما مصير الأمير عبد الرحمن بن يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسي فقد اطلق سراحهم عندما طلب محمد بن أبي الحجاج سلطان غرناطة من سلطان المغرب عبد العزيز أن يرسل له وزيره ابن الخطيب المتهم بالزندقة، فرفض وأقبح الرد، فأطلق ابن الأحمر لحينه الأمير عبد الرحمن بن يفلوسن ومعه الوزير مسعود بن ماسي، وأركبه الأسطول، وأنزله بساحل غساسه بمرسى بطويه ببر العدوة[٢١١] عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، وعين مكانه يوسف بن سليمان ابن عثمان بن أبي العلاء لمشيخة الغزاة، وأرسلهم للمغرب لمناصرة الأمير عبد الرحمن ووزيره، [٢١٢] حيث بدأ الأمير عبد الرحمن يشاغب سلاطين المغرب ويطلب الملك لنفسه وإرضاء له ولاَه السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم على مراكش[٢١٣].

وآخر ضحايا ابن الخطيب كان سليمان بن داود الذي كان بأحد ثغور الأندلس فاستدعاه السلطان أبي عنان المريني عام ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م وعقد له على الوزارة وولاَة على رأس الجيش

---

[٢٠٦] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٥٠١.

[٢٠٧] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٢.

[٢٠٨] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٤٨، ٥٠١.

[٢٠٩] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٤.

[٢١٠] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٥، ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٤٨، ٥٠٢؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٤، ص ٦٢.

[٢١١] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٥؛ ابن خلدون، العبر ج ٧، ص ٤٤٨، ٥٠٢.

[٢١٢] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٥٠.

[٢١٣] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٥٧، ٥٠٢؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٤، ص ٦٥.

لغزو إفريقية [٢١٤]. وعندما توفى السلطان أبو عنان عام ٧٥٩هـ /١٣٥٧م دخل المغرب في شبه شبه حرب أهلية، ولم يستقر في السلطة سلطان إلا وعزل حتى تولى السلطان أبو سالم إبراهيم عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م، وقدم عليه سلطان غرناطة مخلوعاً من ملكه، وصاحبه في غربته سليمان بن داود، ولما استقر السلطان محمد الخامس الغني بالله بفاس عند خلعه ووفادته على السلطان أبي سالم سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وداخله سليمان بن داود في تأميل الكون عنده، فعاهده على ذلك وأن يقدمه على الغزاة المجاهدين من قومه، ولما عاد إلى ملكه وفد عليه سليمان بن داود بغرناطة في سبيل السفارة عن عمر بن عبد الله . الوزير . ٧٦٦هـ/١٣٦٤م [٢١٥].

وكانت نكبة سليمان في عهد السلطان عبد العزيز، ولم يتخلص من هذه النكبة إلا بوفاة عبد العزيز صاحب العلاقة مع ابن الخطيب، وعندما استقر سليمان بن داود في الأندلس طلب من سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله تعيينه شيخاً للغزاة،ولكن ابن الخطيب حال دون ذلك بحجة أن المشيخة مخصوصة لشيوخ بني عبد الحق من بني مرين لمكانتهم في الأندلس، فأخفق أمل سليمان بن داود حينئذ وحقد على ابن الخطيب فرجع للمغرب يائساً ،[٢١٦]حاقداً على ابن الخطيب ثم جاور الأندلس بمحل إمارته بجبل الفتح، ويقول ابن خلدون " فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه بما يحفظه لما كمن في صدورهما"[٢١٧] .

ولما استولى أبو العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم على سلطة المغرب عام ٧٧٦هـ /١٣٧٤م أصبح سليمان بن داود مستشاره، [٢١٨]وأول عمل قام به سليمان بن داود أن أغرى السلطان المريني بالقبض على ابن الخطيب فلما استولى السلطان على البلد الجديد . فاس الجديدة . أقام أياماً ، ثم قبض عليه وأودعوه بالسجن، وطيروا الخبر إلى السلطان ابن الأحمر، وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس حتى أعاده الله إلى ملكه، [٢١٩] ونرى من ذلك أن سليمان بن داود رغم مكانته عند سلطان المغرب المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم ووزيره محمد بن عثمان، إلا أنه يحاول اللحاق بالأندلس وجرى له أن أرسله الوزير محمد بن عثمان في صحابه ونزمار بن نفس المصدر سبب الزيارة رجع ونزمار بن عريف، وأقام سليمان عند ابن الأحمر .

---

[٢١٤] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣٩٥؛ ابن الخطيب، الحلل، ص ٣٩.

[٢١٥] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٥٤.

[٢١٦] نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٥٣– ٤٥٤.

[٢١٧] نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٥٣.

[٢١٨] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٥٥؛ السلاوي، الاستقصا، ج ٤، ص ٦٢.

[٢١٩] ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٥٣.

يقول ابن خلدون "وأقام هنالك خالصةً ونجياً ومشاوراً إلى أن هلك سنة ٧٨١هـ "[٢٢٠] بعيداً عن مشاكل السلطة المرينية التي دخلت في الاحتضار بسبب تولي سلاطين ضعاف استبد بهم وزراء ذوو أطماع .

د ـالعلاقة مع الممالك النصرانية بأسبانيا (الأندلس) :

كانت العلاقة بين شيوخ الغزاة ومملكة قشتالة متأزمة، وذلك بسبب الحرب المستمرة بينهما حتى لو كان في حالة الهدنة، لكن صمت الوثائق التي بين أيدينا عن ذكر أي علاقة بينهما سوى وثيقة يطالبون مملكة أراغون بالتدخل لتسوية الخلاف القائم بينهما، وكان السفراء عادةً يهوداً ،[٢٢١] وليس من المستبعد منهم إشعال نار الفتنة .

أما العلاقة مع مملكة أراغون فكانت علاقة ودٍ متبادل في كلٍّ الاتجاهات، حيث نجد وثيقة تعازي صادرة من شيخ الغزاة عامر بن عثمان بن أبي العلاء، إلى ملك أراجون بيدرو الرابع يعزيه في وفاة والده دون الفونسو الرابع،[٢٢٢] ورسالة أخرى صادرة من سلطان بن عثمان ابن أبي العلاء لنفس الغرض ويهنئ بيدرو باعتلائه العرش، [٢٢٣] ووصل الأمر أن كان لدى شيوخ الغزاة دلاله على ملك أراغون، فكان يفد على بعض شيوخ الغزاة مثل عامر بن عثمان بعض الشخصيات مثل السيد إستبيان سانشت، الذي طلب منه التوسط لدى ملك أراغون ليلحقه بالخدمة في البلاط الأراجواني[٢٢٤].

كما وصلت العلاقة بين شيوخ الغزاة وملك أراجون إلي حد تبادل الهدايا، والسفر سوياً إلى الإسكندرية، [٢٢٥]ويطلب منه البحث عما فقد في استراحته واسترجاعه. وكان الشيوخ يراسلون ملك أراغون ويقدمون لهم كل ما يحتاجونه من خدمات، [٢٢٦] وتقديم يد المساعدة إلى زوجة الملك[٢٢٧].

وكان لهذه العلاقة أكبر الأثر في التدخل لدى الطرفين وفك أسر بعض أسرى المسلمين خصوصاً وأنه زاد نشاط القراصنة في البحر المتوسط،لذلك نجد بعض الوثائق التي تشير إلى

---

[٢٢٠] نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٥٥.

[٢٢١] عمر سعيدان، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣؛ كمال شبانة، مرجع سابق، ص ٥٢٠.

[٢٢٢] كمال شبانه، مرجع سابق، ص ٥٤٤؛ عمر سعيدان، مرجع سابق، ج ١ ، ص ٢٥٠.

[٢٢٣] كمال شبانه، مرجع سابق، ص ٥٤٦.

[٢٢٤] نفس المرجع، ص ٥٥٦؛ عمر سعيدان، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٤.

[٢٢٥] عمر سعيدان، مرجع سابق،ج ١، ص ١٤٨؛ كمال شبانه، مرجع سابق، ص ٥٢١.

[٢٢٦] عمر سعيدان، مرجع سابق،ج ١، ص ١٨١.

[٢٢٧] نفس المرجع، ج ١، ص ٢٥٠.

استرداد أسير مسلم في أرض النصارى [٢٢٨] حتى لا يباع خارج الديار؛[٢٢٩] ومن الملاحظ أن هذه الرسائل كانت تخرج من طرف سلطان غرناطة أو وزيره، بينما شيوخ الغزاة لم يرد منهم طلب واحد في استرداد حرية أحد .

---

[٢٢٨] كمال شبانه، مرجع سابق، ص ٥٤١.

[٢٢٩] نفس المرجع، ص ٥٥٢، ٥٥٤.

الخاتمة:

أوضحت الدراسة مدى صمود غرناطة في مواجهة القوى الصليبية المتنمرة لهذه الدولة الصغيرة،والتي استمرت فترةًطويلةً تقاوم المد الصليبي . وهذا الصمود يرجع إلى مساندة دولة بني مرين التي لم تستطع أن تلعب نفس دور المرابطين والموحدين من قبل،نظراً إلى تغيُّر الظروف، وقد باركت دولة بني مرين مشيخة الغزاة التي قامت بمملكة غرناطة، إلى جانب تشجيع الدولة المرينية لهذه المشيخة كنوع من الخلاص من منافسيها في طلب السلطة، بإرسالهم لينفسوا عن رغباتهم في لعب الدور السياسي والجهادي بغرناطة، فنجد كلًّ من تولى قيادة هذه المشيخة كان يخاطب في الوثائق بالوزير حيث لم يتول أحد قيادة الجيش الغرناطي إلا من كان من شيوخ بني مرين بغرناطة .

لذلك نجد شيوخاً عظاماً تولوا المشيخة وقاموا بدور فعال في الدفاع عن مملكة الإسلام بالأندلس، مثل عثمان بن أبي العلاء الذي قام بما لا يقل عن ٢٣٤ غزوة ضد نصارى الأندلس، فأصبحت غرناطة مركزاً للجهاد، فكل من يريد الشهادة يرحل لها للدفاع عن بلد أصبحت في مهب الريح،وسكانها غرباء في مواجهة زحف صليبي، لذلك كانوا في كل المناسبات حاملين السلاح .

ولكن نجد لهذه المشيخة دورها السياسي لتصفية الخلافات بين المملكتين الغرناطية والمرينية، حيث قام كلَ سلطان في كلا الدولتين من تصفية حسابه مع السلطان الآخر عن طريق هذه المشيخة، فنجد هجوم غرناطة على سبته مستغلين حلم عثمان بن أبي العلاء في طلب الحكم بالمغرب، فيتم توليته علي قيادة الجيش والهجوم على سبته، إلى جانب قيامه بغزو باقي مدن المغرب للدعوة لنفسه بالسلطة، ثم تصفية الحسابات، وطرد كلًّ من تطمع نفسه للسلطة، فيكون مصيره النفي إلى غرناطة التي أصبحت مأوى للمطرودين من بني مرين بدلا من أن تكون ميداناً للجهاد، وكان هذا في عهد تولي الوزراء لشؤون دولة بني مرين، فنجد الصراع على أشده للتخلص من المنافسين لهم في السلطة .

بالإضافة إلى ذلك نجد أن الأندلس أصبحت مقراً لتصفية الحساب مع شخصيات بارزة من شيوخ الغزاة، كما جرى مع الوزير ابن الخطيب الذي استخدم ذكاءه ومكره في التخلص ممن ترى السلطة المرينية أن هذا أو ذاك منافس لهما، في مقابل حماية بعض المناوئين لسلطة غرناطة .

كما أثبتت الدراسة مدى العلاقة بين أراجون وشيوخ الغزاة فكانت علاقة ودٍ وتواصل من عدة اتجاهات، لكن لا نجد طلباً من شيوخ الغزاة في فك أسر أسير أو إمدادات عسكرية، ولكن كل الرسائل المتبادلة بين شيوخ الغزاة ومملكة أراغون رسائل ود ومواساة وعلاقة شخصيه .

المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- **القرآن الكريم.**
- **ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)**

– روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، (الرباط ١٩٩١م).

– نثر فرائد الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان،تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت ١٩٧٦م).

- **ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)**

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، (بيروت ١٩٩٣م).

- **الحسن الوزان: محمد الوزان الفاسي (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)**

– وصف أفريقية، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، (بيروت ١٩٨٣م).

- **ابن حجر العسقلاني: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)**

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، (بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

- **الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٨٦٦هـ /١٤٦٣م)**

– الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس (بيروت ١٩٨٤م).

- **ابن الخطيب: لسان الدين (ت٧٧٦هـ /١٣٦٤م)**

– الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، (القاهرة ١٩٧٤م).

– أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنسال، (بيروت ١٩٥٦م) .

– اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (بيروت ١٩٧٨م) .

– رقم الحلل في نظم الدول، أعده للطبع وعلق عليه وقدم له عدنان درويش، (دمشق ١٩٩٠م).

– كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانه، (القاهرة ١٩٦٦م).

- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، (القاهرة د.ت).
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تقديم وتحقيق السعدية فاغية الجزء الثالث، (المغرب ١٩٧٩م).
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٨١).

- ابن خلدون: عبد الرحمن (٨٠٨هـ /١٤٠٥م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بولاق مصر، نسخة أخرى، (بيروت ١٤٠١هـ /١٩٨١م).

- ابن أبي زرع: أبو الحسن بن عبد الله الفاسي (ت٧٢٠هـ /١٣٢٠م)

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، مدينة فاس، (الرباط ١٩٧٢م).
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط ١٩٧٢م).

- السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (المغرب ١٩٥٥م).

- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، (تونس ، د. ت).

- ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت١٠٢٥هـ /١٦١٦م)

- جذوة الاقتباس (الرباط ١٩٧٣م).

- القلقشندي: شهاب أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ /١٤١٨م)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة د. ت.).

- المقري: أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/ ١٦٧١م)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت ١٩٦٨م).
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السفا وآخرون، (القاهرة ١٩٣٩م) .

- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ /١٣١١م)

- لسان العرب، (بيروت د. ت).

- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م)

- معجم البلدان، (بيروت د. ت).

ثانياً المراجع العربية والمعربة :

- **إبراهيم حركات :**
  - المغرب عبر التاريخ، (المغرب ٢٠٠٠م) .
- **أحمد مختار العبادي :**
  - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة ١٩٦٨م).
  - فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد م٢٧، ٢٨(١٩٥٩ – ١٩٦٠م).
- **أحمد الطوخي :**
  - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، (الإسكندرية ١٩٩٧ م).
- **شارل اندريه جوليان :**
  - تاريخ شمال افريقيا،تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، (تونس ١٩٧٨م).
- **عبد الوهاب بن منصور :**
  - قبائل المغرب، (الرباط ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م).
- **عبد القادر زمامة :**
  - أبو الوليد بن الأحمر، (الدار البيضاء ١٩٦٨م).
- **عبد الرحمن علي الحجي :**
  - التاريخ الأندلسي من الفتح حتي سقوط غرناطة، (دمشق ١٤١٥هـ /١٩٩٤م).
- **عبد الله سعيد بن محمد سافر الغامدي :**
  - دور المتطوعة في حركة الجهاد ضد الصليبين والمغول ، مجلة المؤرخ العربي عدد مارس١ (١٩٩٤م) .
- **عمر سعيدان :**
  - العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر (م) وسقوط غرناطة، (تونس ٢٠٠٣م) .
- **محمد عبد الله عنان :**
  - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، (القاهرة ١٩٤٩م).
  - لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، (القاهرة ١٩٦٨م) .
- **مارمول كربخال : (ألف الكتاب في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي)**
  - أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنبير(المغرب ١٩٨٩م) .
- **محمد عيسى الحريري :**
  - تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، (الكويت ١٩٨٥م) .

- **محمد كمال شبانه :**

- يوسف الأول ابن الأحمر، سلطان غرناطة (٧٣٣- ٧٥٥هـ)، (القاهرة ١٩٦٩م).

- **مصطفى أبو ضيف :**

- أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين وبني مرين، (إسكندرية ١٩٨٣م).

- **نظير حسان سعداوي :**

- جيش مصر في أيام صلاح الدين، (القاهرة ١٩٥٩م) .

- **يوسف شكري فرحات :**

- غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية (بيروت ١٤٠٣هـ /١٩٨٢م).

ثالثاً المراجع الأجنبية :

- A. M. AL Abbady, *EI Reino de Granada en ea Epoch de Muhammad* (Madrid 1973).

- Hill Garth, J. N., *The Spanish Kingdoms*, vol. 1 (Oxford 1976).

- Ladero, Quesada, M. A., *Granada Historia de un Pais Islamic* (1232-1517) (Madrid،1979).

- O. Callaghan, J. F., *A History of Medieval Spain* (London 1975).